# الفقر والعوز في شعر القرن الثاني الهجري

الأستاذ المساعد الدكتورصلاح الدين دراوشة
الإمارات العربية المتحدة
جامعة زايد - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم اللغة العربية
Salah.Darawsheh@zu.ac.ae

**Poverty and destitution in the poetry of the second century AH**

**Assistant professor, Dr.Salah Al-Deen Darawsheh**
**The United Arab Emirates**
**Zayed University , College of Humanities and Social Sciences ,**
**Department of Arabic Language**

**الملخّص :**

تناولت الدراسة "الفقر والعوز في شعر القرن الثاني الهجري"، من خلال دراسة نماذج مختارة لمجموعة من الشعراء – وهم على قلتهم- فقد تمكنوا من التعبير عن الطبقة الكادحة المهمشة في مجتمع ذلك العصر، والتي كانت تنادي بأن تحظى بعطف المجتمع عليها، والالتفات إلى ظروفها الاقتصادية المزرية.

وتبعا لذلك فقد عرضت الدراسة في جانبها الموضوعي الموضوعات الرئيسة التي طرحها الشعراء الشعبيون، وتتمثل في وصفهم لبيوتهم المقفرة، وآنيتهم الفارغة، وفرشهم البالية، وثيابهم الرثّة، وحال أبنائهم وهم يئنون من الجوع، إضافة إلى وصف حالتهم النفسية وهم يكابدون شظف العيش، ومناداتهم بأن يحيوا بكرامة تجنبهم ذلّ السؤال، ومهانة الاستجداء. أيضا فقد كان للبخلاء وذمّهم نصيب وافر عند هؤلاء الشعراء؛ لأنهم يمثّلون جانبا من المجتمع الذي قسا عليهم ولم يرحم ضعفهم وعوزهم.

كما ركّزت الدراسة في جانبها الفني على أبرز سمات ذلك الشعر، ومنها اتكاء شعرائه على السخرية في عرض قضاياهم، وتوظيف الصور الطريفة التي تصور سوء حالهم، إضافة إلى استخدامهم معجم لغوي شعبي قد يصل أحيانا إلى درجة الفحش في القول، مما يتناسب وحجم المعاناة التي كان يكابدها فقراء ذلك العصر، فضلا عن اعتمادهم على المقطعات القصيرة التي تؤدي الغرض مبتعدين عن تقاليد القصيدة العربية التي التزم بها شعراء عصرهم.

**الكلمات المفتاحية** : الشعر الشعبي ، شعراء الفقر، الشعراء الشعبيون ، شعر القرن الثاني الهجري

**Abstract:**

This research dealt with the phenomenon of poverty and destitution among poets of the second century AH, by studying selected models for a group of poets, as they expressed the poor class in society, which was always asking about attention to it and taking into account its difficult circumstances.

On the objective side, the research presented the main topics presented by the popular poets, such as the description of their homes, their worn-out furniture, the condition of their children, their psychological state, and their constant question about living in dignity. They also criticized the stingy people in society for not providing them with assistance.

The research also focused on the artistic side of the most prominent characteristics of poverty poetry, including poetry's dependence on ridicule, and the use of poetic images to show their poor conditions, in addition to the use of popular words that express their living conditions. They also did not adhere to the traditions of the Arabic poem.

**key words**: popular poets , Poets of poverty , Popular poetry , Poetry of the second century AH .

**المقدمة**:

ظاهرة الفقر في المجتمع العربي ليست وليدة القرن الثاني الهجري، فجذورها تمتدّ إلى ما قبل الإسلام، فيما كان يسمى بالصعلكة، وكان الإحساس بالفقر من أهم الأسباب التي أفرزت تلك الظاهرة في المجتمع الجاهلي، إضافة إلى أسباب أخرى يرتبط معظمها بالعامل الاقتصادي، وبعد ظهور الإسلام ودخول القبائل العربية في عرى الدين الجديد، زالت جميع الأسباب التي تدفع بعض أفراد المجتمع إلى الثورة أو التمرّد بسبب العامل الاقتصادي، ذلك أنّ الإسل

ام وحّد العرب، فجعلهم أمّة واحدة، وحلّت الدولة مكان القبيلة، وشاع مبدأ المساواة والعدالة بين جميع المسلمين على اختلاف ألوانهم وأعراقهم ولغاتهم، ومن ثم فإنّ تسمية الصعلكة لم تعد مناسبة في هذه الدولة، وأطلق على من يقوم بتلك الأعمال لصوص خارجون على القانون.

وبعد الفتنة الشهيرة التي عصفت بالأمة الإسلامية في العام (٣٩ هـ)، دانت الخلافة لبني أميّة، وبدأ الملوك الجدد ينفقون الأموال على توطيد دعائم ملكهم باصطناع الأعوان والشرط والشعراء، والإغداق عليهم من موارد الدولة استرضاءً لهم، وحملهم على تأييدهم ومناصرتهم، كما أغدقوا الأموال الطائلة على بعض الأقاليم التي يخشون أن تنازعهم الملك؛ فألهوا الحجاز بالأموال، كما حرموا بعض الأمصار التي كانوا يخشون ثورتها عليهم كالعراق من العطاء وأرهقوها بالضرائب، كما انشغلوا في تزيين أبّهة ملكهم؛ فبنوا القصور والدور وتأنّقوا في ملبسهم ومأكلهم ووسائل لهوهم[١].

ولتأمين الأموال اللازمة لذلك أطلقوا أيدي عمّالهم في تحصيل الجبايات والضرائب من المسلمين في مختلف الأمصار، وكان همّهم تحصيل أكبر قدر من المال دون النظر إلى مصدره أو الطريقة التي جُمع بها، فقد «كتب معاوية بن أبي سفيان إلى عامله على مصر: أن زد على كلّ امرئ من القبط قيراطاً»[٢] كما «صادر أحد إخوة الحجاج أملاك الأهالي ببلاد اليمن»[٣] وفي عهد عبدالملك بن مروان زاد الجزية على أهل خراسان ثلاثة دنانير على ما كانت عليه من قبل[٤]، وبهذا فإنّ «الخلفاء الأمويين لم يوفّروا أسباب الحياة للسواد الأعظم من الشعب، وإنّما كانوا يوسّعون على أنصارهم وأعوانهم بتخفيف الصدقات والضرائب عنهم، وإجزال العطاء لهم، وكانوا يضيّقون أشدّ

التضييق على كلّ من ثار بهم وحاول ردّهم إلى الطريق المستقيم، بالتعسف في استخلاص الصدقات والخراج منهم، ومنع الأعطيات عنهم»[٥]، وقد سجّل الشعر نماذج من ذلك الظلم الاقتصادي.

وبعد سقوط دولة الأمويين وظهور الدولة الجديدة، خفتت حركة الصعلكة بشكل لافت بسبب محاربة الدولة لها، وقوّتها، وهيمنتها على جميع مرافق الحياة، وكذا استقرار العرب في المدن الكبيرة ومنها بغداد والكوفة والبصرة وخراسان ودمشق، وانصهارهم مع الأجناس المختلفة التي شكّلت المجتمع الإسلامي آنذاك، فضلاً عن ضعف الروابط القبليّة، فأصبح الانتماء إلى البلد أو الإقليم طاغياً على الانتماء القبلي. وفي ظلّ هذه الظروف الجديدة لم يعد للصعلكة أو اللصوصية – وفق المفهوم الإسلامي- وبالوسائل التي كانت تنتهجها من سلب وإغارة مكان مقبول في ذلك المجتمع.

وبالرغم من ازدياد موارد الدولة المالية، والدخل الكبير الذي كان يرد إلى بيوت الأموال، فإنّ ظاهرة الفقر لم تضمر في ذلك المجتمع بل تفاقمت بشكل لافت، ذلك لأنّ تلك الثروة الهائلة التي كانت تنعم بها لم تكن ميسرة لجميع أفراد الشعب؛ فقد عنيت الدولة بتوطيد أركان حكمها، والإنفاق على الجيوش في محاربة الخارجين عليها من الأحزاب المناوئة. كما أنّ بعض الخلفاء أطلقوا العنان لأنفسهم بالتصرف بأموال الدولة، ومن الأخبار التي تروى عن الأمين أنّه «وجّه إلى جميع البلدان في طلب الملهين، وضمّهم إليه، وأجرى عليهم الأرزاق، واحتجب عن أخويه وأهل بيته، واستخفّ بهم وبقواده، وقسّم ما في بيوت الأموال، وما بحضرته من الجواهر في خصيانه، وجلسائه، ومحدّثيه، وأمر ببناء مجالس لمتنزّهاته، ومواضع خلواته ولهوه ولعبه»[٦]، وبهذا ظلّت الثروة محصورة في دائرة الخلفاء وأمراء البيت العباسي والوزراء ومن شايعهم. ومصادر التاريخ تعجّ بالأخبار التي تصوّر تبديد أموال الدولة من قبل الخلفاء والأمراء والوزراء على متعهم ولهوهم، في الوقت الذي كان يعاني فيه السواد الأعظم من الشعب ألواناً من الفقر والحرمان، وكأنّما كتب عليه «أن يكدح ليملأ حياة هؤلاء جميعاً بأسباب النّعيم، أمّا هو فعليه أن يتجرّع غصص البؤس والشقاء وأن يتحمّل من أعباء الحياة ما يطاق وما لا يطاق، ومردّ ذلك إلى طغيان الخلفاء العباسيين الذين حرموا الشعب حقوقه وطوّقوه بالاستعباد والاستبداد والعنف الشديد»[٧].

وكان لتلك السياسية المالية الجائرة نتيجتان واضحتان: «أما الأولى فهي محاولة النّاس في الأمصار المتعددة ردّ الظلم عنهم، تارة برفع رقاع التظلم والشكوى، وتارة ثانية بالامتناع عن دفع الخراج، وتارة ثالثة بالثورة على العمال ومحاربتهم والفتك بهم... والنتيجة الثانية انقطاع الصلة بين بيوت المال وبين الرعية»(٨).

ممّا سبق يظهر لنا بوضوح فساد السياسة المالية في دولة العبّاسيين، إذ لم تهتم إلا بمصالحهم الذاتيّة، ومن ثم فقد كان الشعب يعاني من الفقر وغلاء الأسعار، وقد عبّر أبو العتاهية عن تلك الحال بقوله:(٩)

مَـــنْ مُبْلِــغٌ عَنِّــي الإِمَــا     م نَصَـــائحاً مُتواليَـــهْ
إنِّــــي أرَى الأَسْــــعَا     رَ، أَسْــعَارَ الرَعِيَّـــةِ، غَاليَـــهْ
وَأَرَى المَكَاســـبَ نَـــزْرَةً،     وَأرَى الضَّــرورةَ فَاشِـــيَهْ
وَأَرَى هُمُـــومَ الـــدَّهْرِ را     ئِحَـــةً، تَمُـــرُّ، وغَادِيَـــهْ
وَأَرَى المَرَاضِـــعَ فِيـــهِ،     عـــنْ أولادِهَـــا مُتَجَافِيَـــهْ
وَأَرَى اليَتَـــامَى، والأرَا     مـــل في البيـــوتِ الخَالِيَـــهْ
مِـــنْ بَـــيْنِ راجٍ لَـــمْ يَـــزَلْ     يســـمُو إليـــكَ وراجِيَـــهْ
يَشْـــكُونَ مُجْهَـــدَةً بِأَصْـــوا     تٍ ضِـــعَافٍ، عالِيَـــهْ
يَرْجُـــونَ رِفْـــدَكَ كَـــيْ يَـــرَوا     ممَّـــا لَقُـــوهُ، العَافِيَـــهْ
مَـــنْ يُرتَجَـــى للنـــاسِ غَـــيرَ     كَ للعُيـــونِ البَاكِيَـــهْ
مِـــنْ مُصْـــبِياتٍ جُـــوَّعٍ،     تُمْسِـــي وتُصْـــبِحُ طاوِيَـــهْ
مَـــنْ يُرْتَجَـــى لِـــدِفَاعِ كَـــرْ     بِ مُلِمَّـــةٍ، وهِـــيَ مَـــا هِيَـــهْ
- أَلفَيْــــتَ أَخْبَـــاراً إِلَيْــــ     ـــكَ مِـــنَ الرَّعِيَّـــةِ شَـــافِيَهْ

كلّ تلك العوامل مجتمعة أدّت إلى تنامي شريحة الفقراء، التي انتهجت أساليب أخرى لم تكن سائدة من قبل، فظهر ما اصطلح على تسميته بالكُدْيَة(١٠)، ويعدّ العامل الاقتصادي من أهمّ العوامل المشتركة بينها وبين الصعلكة، ذلك لأنّ كلتيهما نشأتا نتيجة الظروف المعيشيّة القاسية التي كان يمرّ بها الصعاليك والمكدّيون(١١).

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو هل كان تصوير مشكلة الفقر بصفته موضوعاً شعريّاً على نحو ما كانت الموضوعات الأخرى؟ ولِمَ لمْ نجد لها صدى كبيراً عند الشعراء الكبار؟ والإجابة عن هذين السؤالين تتطلب منّا وقفة متأنيّة، ذلك لأنّ الشعراء في القرن الثاني الهجري انشغلوا بقضايا كانت بالنسبة لهم أكثر إلحاحاً من هذه الظاهرة الخطيرة، فشعراء الأحزاب الحاكمة كان همّهم الأول الدفاع عن شرعية النظام الذي يؤيّدونه، أمّا شعراء الأحزاب المعارضة فقد تحدّثوا قليلاً عن هذه الظواهر، لأنّ اهتمامهم كان منصبّاً على موضوع الخلافة، وبيان أحقيّتهم بها. كما أنّ الرواة أسقطوا كثيراً من أشعار المحدثين، وكان اهتمامهم منصبّاً على «الشعراء الذين اتصلوا بالخلفاء ومدحوهم ومجّدوا أعمالهم ووزراءهم وقادتهم، أو بالشعراء الذين كانوا يروون أشعارهم للاحتجاج بها في المسائل اللغوية والنحوية»[١٢]، فليس من المعقول أن يلتفتوا إلى أشعار شعبيّة لا تتضمن معجماً لُغوياً ثريّاً يستحق الحفظ والاحتجاج به. ورغم ذلك يرى بعض النقاد أمثال الدكتور محمد مصطفى هدّارة أن الاتجاه الشعبي في الشعر لم يكن له أثر سيء في الشعر العربي، بل كان على العكس تطورا جديدا لا بد منه ليواكب الشعر الحياة، ولا يتخلف عن الإحساس بها، والتعبير عمّا فيها من تغير دائم مستمر[١٣]. ويبدو لي أنّ الأشعار التي تمثّل هذه الظاهرة أكثر بكثير ممّا وصلنا واستشهدنا به في هذا المقام، ولكنّنا نرى أنّ ما بين أيدينا من الأشعار التي تمثّل ظاهرة الفقر يُقدّم لنا صورة جلية عن حياة شريحة واسعة من مجتمع القرن الثاني الهجري.

## تجليات الفقر والعوز في شعر القرن الثاني الهجري

تجلت مظاهر الفقر والعوز عند الشعراء الشعبيين في القرن الثاني الهجري بعدة صور عبروا من خلالها عن بؤسهم وعوزهم، ومن هذه المظاهر:

### وصف سوء حالهم:

يشكو عمار ذو كبار (ت بعد ١٥٠هـ)[١٤] سوء حاله إلى أحد الموسورين، واصفا ثيابه البالية التي لا يرجو لها صلاحا بعد أن طال ترقيعه لها: [١٥]

اكْسُنِي أَصْلَحَكَ اللَّهُ قَمِيصاً وَصِقَاعَا
وَأَرِحْنِي مِنْ ثِيَابٍ بَالِيَاتٍ تَتَدَاعَى

طَـــالَ تَرْقِيعِـــي لَهَـــا حَتَّـــى لَقَـــدْ صَـــارَتْ رِقَاعَـــا
كُلُّهَـــا لاَ شَـــيْءَ فِيهَـــا غَيْـــرَ قَمْـــلٍ تَتَسَـــاعَى
لَـــمْ تَـــزَلْ تُـــولِي الـــذِي يَرْجُـــوكَ بِـــرّاً واصْطِـــنَاعَا

يقدّم الشاعر صورة من صور البؤس التي يعانيها، فقد بَلي ثوبه، ولم يعد يرجو صلاحه بعد أن طال ترقيعه، لذا يطلب ممّن يوجّه له شكواه أن يريحه من ذلك العناء بأن يهبه ثوباً جديداً وعمامة. ومن خلال إشارته إلى القمل في ثيابه نستشف جانباً من الأوضاع المزرية التي كان يكابدها الفقراء، بافتقارهم إلى أساسيّات الحياة الكريمة.

ويمتدح الحكم بن عبدل (ت بعد ١٠٠ هـ)[١٦] أحد موسوري الكوفة، فيصف له سوء حاله وإقفار بيته، فيقول:[١٧]

يَـــا أَبَـــا طَلْحَـــةَ الجَـــوَادَ أَغِثْنِـــي بِسِـــجَالٍ مِـــنْ سَـــيْبِكَ المَقْسُـــومْ
أَحْـــيِ نَفْسِـــي فَـــدَتْكَ نَفْسِـــي فَـــإِنِّي مُفْلِـــسٌ قَـــدْ عَلِمْـــتَ ذَاكَ عَـــدِيمْ
أَو تَطَـــوَّعْ لَنَـــا بِسَـــلْفٍ دَقِيـــقٍ أَجْـــرُهُ إِنْ فَعَلْـــتَ ذَاكَ عَظِـــيمْ
قَـــدْ عَلِمْـــتُم -فَـــلاَ تَعَـــامُسَ عَنِّـــي- مَـــا قَضَـــى اللهُ فِـــي طَعَـــامِ اليَتِـــيمْ
**لَـــيْسَ لِـــي غَيْـــرُ جَـــرَّةٍ وَأَصِـــيصٍ** وَكِتَـــابٍ مُنَمْـــنَمٍ كَالوُشُـــومْ
وَكِسَـــاءٍ أَبِيعُـــهُ بِرَغِيـــفٍ قَـــدْ رَقَعْنَـــا خُرُوقَـــهُ بِـــأَدِيمْ
وَإِكَـــافٍ أَعَارَنِيـــهِ نَشِـــيطٌ هُـــوَ لِحَـــافٌ لِكُـــلِّ ضَـــيْفٍ كَـــرِيمْ
وَنَبِيـــذٍ مِمَّـــا يَبِيـــعُ صُـــهَيْبٌ يَـــذَرُ الشَّـــيْخَ رُمْحُـــهُ مَـــا يَقُـــومْ
رَبِّ حَـــلاَّ فَقَـــدْ ذَكَـــرْتُ أَصِيصِـــي وَلِحَـــافِي حَتَّـــى تَغُـــورَ النُّجُـــومْ
كُـــلُّ بَيْـــتٍ عَلَيْـــهِ نِصْـــفُ رَغِيـــفٍ ذَاكَ قَسْـــمٌ عَلَـــيْهِمُ مَعْلُـــومْ[١٨]

إنّ سوء حال الشاعر وما يعانيه من فقر، جعلاه يُجمل مديحه لأبي طلحة هذا بكلمة واحدة (الجواد)، ممّا يُنبئ عن قسوة ما يكابده من حرمان وعوز، فلا وقت لديه لإطالة مقدّمات المديح، فهو في حال بائسة؛ لذا يطلق نداءه مستغيثاً بأبي طلحة كي ينقذه ممّا هو فيه، فيغدق عليه من عطائه وجوده، فلم يعد لديه ما يقيم أوده، وتستقيم به حياته، فهو معدم مفلس، لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، وعطاء أبي طلحة إحياء له بعدما شارف

على الهلاك. ثم يعرض له شيئاً ممّا يرجوه منه، بأن يهب له جراباً من الدقيق، مُبيّناً حاجته إليه، مُذكّراً بعظيم أجره عند الله تعالى وجزيل ثوابه. ولعلّ تصريح الشاعر عن حاجته إلى الدقيق، يدلّنا على قلّة توفّره وربما غلاء ثمنه، ومع أنّه يشكّل الطعام الرئيس للفقراء، إلاّ أنّه كان عزيزاً عليهم فلم يكن باستطاعتهم الحصول عليه، الأمر الذي يجعلهم يتذلون أنفسهم في سؤال النّاس. كما يقودنا هذا إلى الأحوال السيئة لطبقة الفقراء، ممّا جعل من الدقيق حلماً بعيد المنال بالنسبة لهم، كما نستشفّ من مطلب الشاعر للدقيق عن قناعة هذه الفئة، فهي لا تطلب سوى حاجاتها الأساسيّة التي تمكّنها من مواصلة الحياة.

ثمّ يعرض له جانباً من جوانب فقره المدقع، فيصف له بعض أدوات بيته، فليس عنده سوى جرّة مكسورة خالية من الدقيق، كما أنّ ثوبه البالي المرقّع بالأديم لا يساوي ثمنه رغيف خبز، وكذا فإنّه لا يجد شيئاً يُجلس عليه ضيفه سوى لحاف بال، وحتى هذا اللحاف لا يملكه، فقد استعاره من أحدهم! أمّا نبيذه فهو فاسد نتن الرائحة. ومن ثم فإنّ بيته خالٍ من أدنى الأساسيات التي يحتاجها الإنسان، فهو مقفر من الطعام والكساء، وبهذا تستحيل به حياة الآدمي، ولعلّ الشاعر في وصفه لبيته يقدّم صورة واقعيّة لبيوت الفقراء التي تفتقر إلى مقوّمات الحياة.

كما يصف أبو فرعون الساسي (ت بعد ٢٠٠ هـ)[١٩] أثر الفقر والجوع عليه، ممّا أصابه بالضعف والهزال:[٢٠]

أَنَــا أَبُــو فِرْعَــوْنَ فَــاعْرِف كُنْيَتِــي ... حَــلَّ أَبُــو عَمْــرَةَ وَسْــطَ حُجْرَتِــي
وَحَــلَّ نَسْــجُ العَنْكَبُــوتِ بُرْمَتِــي ... وَأَعْشَــبَ تَنُّــورِي وَقَلَّــتْ حِنْطَتِــي
وَحَــالَفَ القَمْــلُ زَمَانــاً لِحْيَتِــي ... وَضَــعُفَتْ مِــنَ الهُــزَالِ ضَــرْطَتِي

لقد بلغ سوء الحال بأبي فرعون أن يصرخ بالنّاس ويجأر بأعلى صوته، (أنا أبو فرعون فاعرف كنيتي)، وكأنّه أراد أن يجعل من نفسه عنواناً للفقر في ذلك المجتمع، وبندائه هذا يخبرهم عن حقيقته المرّة بأنّ الفقر والجوع أصبحا ملازمين له، ثم يشرح لهم آثار الفقر على جسمه، فقد أصبحت عظامه بالية، وكأنّ العنكبوت قد نسجت خيوطها بها، إشارة إلى قلّة الطعام الذي يدخل جوفه، كما يدلل على قلّة طعامه، باعشوشاب تنّوره المعطّل منذ زمن بعيد، وأنّى له أن يشعله وهو معدم من الحنطة؟ إنّه بأسوأ حال

حتى لم يعد يقوى على الحراك، فقد أضرّ به الجوع، وتركه شبه إنسان! فالشاعر في هذه الأبيات القليلة يريد أن يصوّر إهمال المجتمع للطبقة الفقيرة، ممّا جعلها تلجأ إلى التعريف بنفسها، وربما جعلها شدّة الجوع لا تصبر على التعفف، بل راحت تطالب المجتمع بأن يلتفت إليها، وينظر في حالها، ويضع الحلول المناسبة لها كي تخرج ممّا هي فيه من العوز ومذلّة السؤال.

وهذا أبو الشمقمق (ت بعد ١٨٠هـ)[٢١] يصرخ بأعلى صوته معبّرا عن سوء حاله، يقول:[٢٢]

أَنَـــا فِـــي حَـــالٍ تَعَـــالَى ... اللهُ رَبِّـــي أيّ حَـــالِ
وَلَقَـــدْ أُهْزِلْـــتُ حَتَّـــى ... مَحَـــتِ الشَّـــمْسُ خَيَـــالِي
مَـــنْ رَأَى شَـــيْئاً مُحَـــالاً ... فَأَنَـــا عَـــيْنُ المُحَـــالِ
لَـــيْسَ لِـــي شَـــيْءٌ إِذَا قِيـــ ... ـــلَ لِمَـــنْ ذَا قُلْـــتُ ذَا لِـــي
**وَلَقَـــدْ أَفْلَسْـــتُ حَتَّـــى** ... حَـــلَّ أَكْلِـــي لعِيَـــالِي

فمن شدّة الجوع الذي يعانيه، والضنك الذي أصابه، لم يعد يُرى له كيان، وكأنّه تلاشى، حتى لم يبق له ظل يثبت وجوده، وهو في هذا يشير إلى جانبين: الأول، جسدي بسبب النحول والذبول اللذين أصاباه، والثاني اجتماعي إشارة إلى المهانة والضعة التي يشعر بهما من قبل المجتمع. ولعلّ الصورة الأكثر مأساوية أنّه قد بلغ أقصى درجات الإفلاس، فلم يعد يمتلك شيئاً يحقّ له أن ينسبه إلى نفسه، حتى بلغ به الحال أن يهمّ بأكل عياله! إنّها قمّة المأساة أن يفكر الإنسان بأكل عياله! وهو بهذه الصورة البشعة يحاول أن يصوّر شدّة جوعه، وبؤس حاله، لعلّ أحداً من أفراد المجتمع يلتفت إليه، فيعطف عليه بشيء ينقذه من فقره المدقع.

ومن اللافت أن أحد الشعراء واسمه عاذر بن شاكر (ت بعد ٢٠٠ هـ)[٢٣] ويُكنى بأبي المخفف قد جعل شعره في التغزّل بالرغيف، لأنّ ما يشغله في حياته ويملك عليه تفكيره هو تأمين كسرة الخبز التي يبدو أنّها لم تكن متوافرة لكثير من أمثاله، لذا جاء شعره تسجيلاً صادقاً لفقره المدقع، «وقد وصف مظاهر جوعه وصفاً رائعاً ساخراً مرحاً

ممّا قد يلقي في الرّوع أنّه يصطنعه تظرّفاً، إلاّ أنّ إلحاحه على هذا الجانب يؤكّد عوزه»[٢٤]. وممّا قاله في التّغزّل بالرغيف:[٢٥]

دَعْ عَنْكَ رَسْمَ الدِّيَارِ ... وَدَعْ صِفَاتِ القِفَارِ
وَعَدِّ عَنْ ذِكْرِ قَوْمٍ ... قَدْ أَكْثَرُوا فِي العُقَارِ
وَدَعْ صِفَاتِ الزَّنَانِيرِ ... فِي خُصُورِ العَذَارِي
وَصِفْ رَغِيفاً سَرِيّاً ... حَكَتْهُ شَمْسُ النَّهَارِ
أَوْ صُورَةُ البَدْرِ لَمّا اسْتَ ... تَمَّ فِي الاسْتِدَارِ
فَلَيْسَ يَحْسُنُ إِلاَّ ... فِي وَصْفِهِ أَشْعَارِي
وَذَاكَ أَنِّي قَدِيماً ... خَلَعْتُ فِيهِ عِذَارِي

لقد درج الشعراء بالوقوف على الأطلال، والارتحال وراء المحبوبة، وأكثروا من وصف الخمرة، وتغنّوا بها وبأثرها عليهم، وبالغوا في وصف الجواري الحسان في مجالس لهوهم وأنسهم. أمّا شاعرنا فلا يجد له حاجة لكلّ ذلك، إنّ حاجته الأساسيّة أن يتحصّل على رغيف الخبز الذي يعدّ بالنسبة له حلماً بعيد المنال، لذا أصبح همّه وأمله في الدنيا أن يظفر به، ولمّا كان حال الرغيف كذلك، فهو بالنسبة له المحبوب الأثير إلى قلبه الذي يستحقّ منه أن ينظم فيه قصائد الغزل الرفيع، فتارة يصفه بقرص الشمس في وضح النّهار، وأخرى بالبدر الساطع ليلة تمامه. والشاعر في تركه لضروب الغزل المألوفة واقتصاره في تغزله على رغيف الخبز، إنّما يعكس شدّة ما كان يعانيه من فقر وحرمان، فلو كان الخبز ميسوراً لما نال منه هذا المدح والثناء! وهو بهذا يعكس حاجة الفقراء وما يعانونه في الحصول على رغيف الخبز، حتى باتوا يتغزّلون به وبجماله!

**وصف بيوتهم**:

يقدّم أبو الشمقمق صورة طريفة لإقفار بيته ظاهرها يستثير الضحك، أمّا جوهرها فيثير الفزع في النّفوس لما تتضمّنه من مشاهد البؤس، حيث يصف بعض الحيوانات البيتية التي قررت مغادرة البيت لخلوه من أدنى مظاهر الحياة، يقول:[٢٦]

وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ أَقْفَرَ بَيْتِي ... مِنْ جِرَابِ الدَّقِيقِ والفَخَّارَهْ
وَلَقَدْ كَانَ آهِلاً غَيْرَ قَفْرٍ ... مُخْصِباً خَيْرُهُ كَثِيرَ العِمَارَهْ

فَـــأرَى الفَـــأرَ قَـــدْ تَجنَّـــبْنَ بَيْتِـــي عَائِـــذَاتٍ مِنْـــهُ بِـــدَارِ الإمَـــارَهْ[٢٧]
وَدَعَـــا بالرَّحيـــلِ ذِبَّـــانَ بَيْتِـــي بَـــيْنَ مَقْصُوصَـــةٍ إلَـــى طَيَّـــارَهْ
وَأَقَـــامَ السِّـــنَّورُ فِـــي البَيْـــتِ حَـــوْلاً مَـــا يَـــرَى فِـــي جَوَانِـــبِ البَيْـــتِ فَـــارَهْ
يُنْغِـضُ الـرَّأسَ منه مِن شِـدَّةِ الجُو الجُـوْ عِ وَعَـــيْشٍ فِيـــهِ أذىً ومَـــرَارَهْ
قُلْـــتُ لَمَّـــا رَأَيْتُـــهُ نَـــاكِسَ الـــرَأْ سِ كَئِيْبـاً وَفِـي الجَـوْفِ مِنْـهُ حَـرَارَهْ
وَيْـــكَ صَـــبْراً فَأَنْـــتَ مِـــنْ خَيْـــرِ سِنَّـــوْرٍ رَأَتْـــهُ عَيْنَـــايَ قَـــطُّ بِحَـــارَهْ
قَـــالَ لاَ صَـــبْرَ لِـــي، وَكَيْـــفَ مُقَـــامِي بِبيـــوتٍ قَفْـــرٍ كَجَـــوْفِ الحِمَـــارَهْ
قُلْـتُ سِـرْ رَاشِـداً إلَـى بَيْـتِ جَـارٍ مُخْصِـبٍ رَحْلُـهُ عَظِـيْمِ التِّجَـارَهْ
وَإذَا العَنْكَبُـــوتُ تَغْـــزِلُ فِـــي دَنِّـــي وَحُبِّـــي والكُـــوزِ وَالقَرْقَـــارَهْ
وَأَصَـــابَ الجُحَـــامُ كَلْبِـــي فَأَضْـــحَى بَـــيْنَ كَلْـــبٍ وَكَلْبَـــةٍ عَيَّـــارَهْ

ولعلّنا حينما نقرأ هذه الأبيات نظنّ أن الشاعر يبالغ في الوصف، وربما ظنّ البعض أنّه أراد قول ذلك على سبيل الفكاهة والسخرية[٢٨]، ولكنّها الحقيقة المرّة التي كانت تكابدها فئة مسحوقة من الشعب، وقد أجاد الشاعر في تصوير ذلك البيت الخالي من كلّ مقوّمات الحياة، ومع أنّه لا ينكر أنّه كان في يوم من الأيام (أهلاً غير قفر)، ربما كان ذلك في عهد مواليه من الدولة السابقة (الدولة الأموية)، ولكنّه الآن يرزح تحت أعتى درجات الفقر، فبعد أن أقفر جراب بيته من الدقيق، لم يعد فيه ما يقيم أود الحياة.

وبرع الشاعر في تصوير إقفار بيته من خلال وصفه لحال بعض الحيوانات التي تعيش على بقايا الطعام في البيوت، مثل الفأر والسّنّور والذّباب، أمّا الفئران فقد تجنّبت بيته لأنّها لا تجد فيه شيئاً صالحاً لغذائها، ولعلّ الشاعر في لفتة ذكيّة أراد لهذه الفئران أن تلوذ ببيت الإمارة، فهناك من الطعام الشيء الكثير، ممّا يجعلها تأنس بالإقامة فيها، بينما بيت أبي الشمقمق وأمثاله من البؤساء فلا طعام فيها يقيم أودّ أصحابها فكيف بالفئران؟

وحتّى الذبابة التي يكفيها أن تمتص النزر اليسير من الطعام، لم تجد ما تقتات عليه فكان مصيرها مصير الفئران، أمّا السنور فكان أكثر وفاءً منهما فقد أقام حولاً كاملاً يرجو تحسّن حال صاحبه، فخاب ظنّه، ممّا جعله منكّس الرأس من ذلّ الجوع، فلا طعام ولا فئران يتخذها له غذاء، ممّا جعل صاحبه يشفق عليه فينصحه بالانتقال إلى بيت جاره

الغني الذي سيجد عنده ما يشفي جوعه، وانتظار السنور حولاً كاملاً يشي بأن لا أمل لهذه الفئة المحرومة في تحسّن أحوالها، وأنّها في فقر وجدب دائمين.

والشاعر في حواره مع السنّور، يقدّم لنا صورة في غاية الشقاء لهؤلاء البؤساء، ويبدو لي أنّه تقمّص شخصية السنّور، والحوار الذي دار بينهما، ما هو إلاّ حوار الشاعر مع نفسه، وكأنّه بين نفسين، واحدة تتحلّى بالصبر والثانية خائرة من شدّة الجوع، فالأولى تطلب من الثانية أن تتجلّد وتصبر، والثانية المنهكة الجائعة تجيب بأنّ صبرها نفد، ثم تقترح النفس الجائعة على النفس الأبيّة الصابرة أن تتوجّه إلى طلب المساعدة من الجار صاحب الثراء، لعلّه يجود بشيء من باقي طعامه. ولعلّ الشاعر قد اختار الجار هنا، ليبيّن الخلل الذي أصاب ذلك المجتمع، فكيف بهذا الجار المنعّم، لا يقدّم يد المساعدة إلى جاره الفقير البائس؟ إنه نقد صارخ للمجتمع الذي انعدمت فيه أوجه المساعدة بين أفراده، وفُقدت فضيلة التكافل فيه.

ويختم الشاعر تصوير بيته بصورة العنكبوت التي لا تنسج خيوطها إلاّ بأماكن القفر، ولن تجد قفراً أكثر من بيته، فجميع أدوات الطعام (الدنّ والحُب والكوز والقرقارة) باتت مقفرة، ولم تر الطعام منذ أمد بعيد، ممّا أغرى العنكبوت أن تنسج خيوطها بها. وحتى كلبه أصيب بالدّاء من شدّة الجوع، فأصبح متردّداً بين البقاء والرحيل(٢٩).

وفي صورة أخرى نجدها عند أبي فرعون الساسي، الذي يغلق باب بيته ليس خوفا من السرقة ولكن مخافة أن يطّلع النّاس على الشقاء الذي يعيش فيه:(٣٠)

لَـــيْسَ إِغْلاقِـــي لِبَـــابِي أَنَّ لِـــي ... فِيـــهِ مَـــا أَخْشَـــى عَلَيْـــهِ السَّـــرَقَا
إِنَّمَـــا أُغْلِقُـــهُ كَـــيْ لاَ يَـــرَى ... سُـــوءُ حَـــالِي مَـــنْ يَجُـــوبُ الطُّرُقَـــا
لَـــيْسَ لِـــي فِيـــهِ سِـــوَى بَارِيَـــةٍ ... وَبِـــهِ أَعْلَقْـــتُ لَبْـــداً خَلَقَـــا
مَنْـــزِلٌ أَوطَنَـــهُ الفَقْـــرُ فَلَـــو ... دَخَـــلَ السَّـــارِقُ فِيـــهِ سُـــرَقَا
لاَ تَرَانِـــي كَاذِبَـــاً فِـــي وَصْـــفِهِ ... لَـــو تَـــرَاهُ قُلْـــتَ لِـــي: قَـــدْ صَـــدَقَا

هذا هو بيت أبي فرعون، ليس فيه سوى الفقر، فهو يشفق على من يجوب الطرقات أن ينظر إلى حالة البؤس التي يعيشها، وربما يشفق على نفسه من نظرات التحسّر التي سيبديها من يشاهد عيانا بيته الخالي من أدنى مقومات الحياة، لذا آثر أن يبقى بابه

موصدا. ولعلّ الشاعر في ذكره للسارق أراد أن يصوّر حقيقة ذلك البيت المقفر، فهو لا يخشى عليه من أن تمتدّ إليه أيدي اللصوص، وإن كان دائم الإغلاق لبابه، لأن السارق إذا قصد بيته فلن يجد ما يسرقه، بل إن في البيت أناسا قد بلغت بهم الحاجة وسوء الحال إلى استعدادهم لسرقة ما بحوزة ذلك السارق.

**وصف أبنائهم**:

وصف الأبناء وما يعتريهم من بؤس وشقاء نتيجة الفقر والحرمان الذي يكابدونه، من أعظم الصور التي تؤثّر في النفس، وتجعل الآخرين يبدون مزيداً من التعاطف مع الشاعر، لذا فقد نهج الفقراء على بيان حال أولادهم، وهو أسلوب من أساليب الاستجداء لعلّهم يحرّكون القلوب القاسية، فتتعاطف مع مطالبهم، ويؤدّون لهم بعض الواجبات التي يفرضها عليهم الدين والإنسانيّة. ومن الصور القاسية التي يعرضها أبو فرعون الساسي قوله: (٣١)

إِلَيْكَ أَشْكُو صِبْيَةً وَأُمَّهُمْ ... لاَ يَشْبَعُونَ وَأَبُوهُمْ مِثْلُهُمْ

قَدْ أَكَلُوا الوَحْشَ فَلَمْ يُشْبِعْهُمُ ... وَشَرِبُوا المَاءَ فَطَالَ شُرْبُهُمْ

وَامْتَذَقُوا المَذْقَ فَيَا دُنْيَاهُمُ ... وَالمَضْغُ إِنْ نَالُوه فَهو عُرْسُهُم

لاَ يَعْرِفُونَ الخُبْزَ إِلاّ باسْمِه ... وَالتَّمْرُ هَيْهَاتَ فَلَيْسَ عِنْدَهُم

وَمَا رَأَوْا فَاكِهَةً فِي عَيصِهَا ... وَلاَ رَأَوْهَا وَهِي تَهْوِي نَحْوَهُمْ

وَمَا لَهُم مِنْ كَاسِبٍ عَلِمْتَهُ ... عَلَى جَدِيدِ الأَرْضِ غَيْرُ جَحْشِهِمْ

وَجَحْشُهُم قَدْ بَاتَ مَنْهُوبَ القِرَى ... وَمِثْلُ أَعْوَادِ الشُّكَاعَى كَلْبُهُمْ

كَأَنَّنِي فِيهِمْ وَإِنْ وَلِيتُهُمْ ... كَانُوا مَوَالِيَّ وكُنْتُ عَبْدَهُمْ

مُجْتَهِداً بِالنَّصْرِ لاَ آلُوهُمُ ... أَدْعُو لَهُم يَا رَبِّ سَلِّمْ أَمْرَهُمْ

وَتَارَةً أَقُولُ مِمَّا قَدْ أَرَى ... يَا رَبِّ بَاعِدْهُمْ وَبَاعِدْ دَارَهُمْ

يَأْوُونَ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أُحرِجُوا ... إِلَى ذَرَى اللُّهَيْمِ وهِي قَدْرُهُمْ

بِهَا يَطُوفُونَ إِذَا مَا اجْرَنْثَمُوا ... وَهْيَ أَبُوهُمْ عِنْدَهُمْ وأُمُّهُمْ

زُغْبُ الرُّؤوسِ قَرِعَتْ هَامَاتُهُمْ ... مِنَ البَلاَ وَاسْتَكَّ مِنْهُم سَمْعُهُمْ

كَـــأَنَّهُمْ جُنَـــابُ أَرْضٍ مُجْـــدِبٌ  مَحْـــلٌ فَلَـــوْ يُعْطَـــوْنَ أَوْجَـــى سَـــهْمُهُمْ
بَـــلْ لَـــو تَـــرَاهُم لَعَلِمْـــتَ أَنَّهُـــمْ  قَـــوْمٌ مَسَـــاغِيبٌ قَلِيْـــلٌ نَـــوْمُهُمْ
وَكَالسَّـــعَالَى فِـــي مُســـوكِهَا...  فَلَـــوْ يَعَضُّـــونَ لَـــذَكَّى سَـــمَّهُمْ
قَـــدْ جَرَّسُـــوا الـــدَّهرَ وَقَـــدْ بَلاَهُـــمُ  هَـــذَا وَهَـــذَا دَأْبُـــهُ وَدَأْبُهُـــمْ
وَلاَ يَعِيْشُـــونَ بِعَـــيْشٍ سَـــابِغٍ  وَلاَ يَمُوتُـــونَ وَذَاكَ قَصْـــرُهُمْ(٣٢)

فأول ما يسترعي اهتمام الشاعر في عرض قضيّته، وصف طعام أولاده وأمّهم، ففضلاً عن شحه، فإنّهم لا ينالون إلاّ الرديء منه، ممّا يتصيّدونه من الحيوانات البريّة التي لا يشبعهم لحمها، ممّا يجعلهم يكثرون من شرب الماء كي يملؤوا بطونهم الخاوية، ذلك أنّهم مجدبون من سائر أنواع الأطعمة، مثل اللبن أو الطعام الجيد الذي يحسن مضغه، وإذا ما تحصّلوا عليه فإنّ ذلك يوم فرحهم وسرورهم! أمّا الخبز طعام الفقراء فإنّهم لا يعرفونه إلاّ باسمه، وكذا بيتهم خالٍ من التمر، وإذا كان هذا شأنهم مع الطعام المتيسر لكثير من فئات المجتمع، فما بالك بالفاكهة التي لم يشاهدوها في حياتهم، سواء أكانت ثماراً غير يانعة، أو حبّات ناضجة تقدّم لهم!

إنّهم يعيشون بأسوأ حال، فليس لهم ما يعينهم في قضاء حوائجهم سوى جحش هزيل منهك القوى، أمّا كلبهم فقد أصابه من الذبول ما أصابهم، لذا يجتهد الشاعر في القيام على أمرهم، وكأنّه عبد لهم وهم أسياده يعمل كلّ ما بوسعه لرعاية شؤونهم، ولا يجد سبيلاً إلاّ أن يتوجّه بالدعاء إلى الله تعالى كي يسلّمهم ممّا هم فيه، وتارة يصل به اليأس من حالهم فيسأل الله تعالى أن يأخذهم ليريحهم من العناء والتعب الذي يكابدونه في حياتهم.

ذلك وصف معاناتهم في النّهار، أمّا إذا جنّ ليلهم فإنّهم يبيتون وهم يكابدون الآلام الشديدة نتيجة سوء طعامهم وعري أجسامهم التي لا تقيهم الحرّ والقرّ، حتّى أنّ شعر رؤوسهم قد تساقط، وفقدوا سمعهم، فأصبحوا كالأرض الجدباء التي لا يرجى صلاحها فلا ينبت بها زرع. ومن ينظر إليهم يدرك عِظَم البلاء الواقع بهم، فمن شدّة جوعهم ومرضهم حرموا النّوم، بل تراهم يسعلون سعالاً شديداً، وقد امتلأت

أجسامهم بالأمراض المعدية. لقد تكالبت عليهم مصائب الدنيا، حرماناً وفقراً ومرضاً، فلا يهنؤون بعيش كريم، ولا يموتون فيستريحون من هذا العناء الذي أرهقهم.

**أمنياتهم وآمالهم**:

وإن كانت حياة الفقراء تقوم على الأمنيات، وهي النّعمة الوحيدة التي لم يحرموا منها، فإنّ أبا الشمقمق يعرض مجمل أمنياته والتي تمثل أمنيات شريحة الفقراء في ذلك المجتمع، يقول:(٣٣)

مُنَـــايَ مِـــنْ دُنْيَـــايَ هَـــاتِي التِـــي ... تَسْـــلَحُ بِـــالرِّزْقِ عَلَـــى غَيْـــرِي
الجَـــردقُ الحَاضِـــرُ مَـــعْ بُضْـــعَةٍ ... مِـــنْ مَـــاعِزٍ رَخْـــصٍ وَمِـــنْ طَيْـــرِ
وحَـــــرَّةٌ تَهْـــــدِرُ مَلآنَـــــةً ... تَحْكِـــي قِـــرَاةَ القَـــسِّ فِـــي الـــدَّيْرِ
وَجُبَّـــــةٌ دَكْنَـــــاءُ فَضْفَاضَـــــةٌ ... وَطَيْلَسَـــــانٌ حَسَـــنُ النَّيْـــرِ
وَبَغْلَـــــةٌ شَـــــهْبَاءُ طَيَّـــــارَةٌ ... تَطْـــوِي لِـــيَ البُلْـــدَانَ فِـــي السَّـــيْرِ
وَقَيْنَـــــةٌ حَسْـــــنَاءُ مَمْكُـــــورَةٌ ... يَصْـــرَعُهَا الشَّـــوقُ إِلَـــى ..•
وَبِـــــدْرَةٌ مَمْلُـــــوءَةٌ عَسْـــــجَداً ... مَـــا بِالّـــذِي أَذْكُـــرُ مِـــنْ ضَـــيْرِ
وَمَنْـــزِلٌ فِـــي خَيْـــرِ مَـــا جِـــيرَةٍ ... قَـــدْ عُرِفُـــوا بِـــالخَيْرِ والمَيْـــرِ
وَصَـــاحِبٌ يَلْزَمُنِـــي دَهْـــرَهُ ... مِثْـــلَ لُـــزومِ الكَـــيْسِ لِلسَّـــيْرِ
مُسَـــاعِدٌ يُعْجِبُنِـــي فَهْمُـــهُ ... مُرْتَفِـــعُ الهِمَّـــةِ فِـــي الخَيْـــرِ
كَـــمْ مِـــنْ فَتَـــىً تُبْصِـــرُ ذَا هَيْئَـــةٍ ... أَبْلَـــدُ فِـــي المَجْلِـــسِ مِـــنْ عَيْـــرِ

تمثّل هذه القصيدة مجمل الحاجات التي يتطلبها الفقراء، وهي تتسم بالواقعيّة، ولا يمكننا أن نصفها إلاّ بالأساسيّة لتستقيم بها حياة الإنسان، وهي وإن كانت مجرد أمنيات يتمنّاها، إلا أنّها تصوّر حالة الحرمان التي يعانيها، وتتمتّع بها باقي طبقات المجتمع، وهو في هذه الأبيات «كأنّما كان يدعو بلسان إخوانه الفقراء إلى المساواة مع غيرهم من الأثرياء في كلّ شيء سواء كان من أسباب المعيشة، وضرورات الحياة كالمأكل والمسكن والملبس، أو من وسائل اللهو الميسرة كالخمر والجواري والقيان والصديق الظريف»(٣٤). كما تحمل هذه الأبيات نقداً للمجتمع بأسره، ذلك لأنّه من حقّ أيّ فرد ينتمي إلى

المجتمع أن يمنحه أدنى الأساسيات التي توفّر له عيشاً كريماً، ويبدو أنّ شريحة كبيرة من مجتمع القرن الثاني كانت تفتقر إلى ذلك.

والأساسيات التي تتمنّاها شريحة الفقراء تتمثل في توفير الخبز مع قليل من اللحم، فالشاعر لم يشأ أن يذكر أصناف الطعام الكثيرة التي تعجّ بها موائد الأغنياء، وإنّما أراد أبسط الطعام وأكثره وفرة. كما يتمنّى جُبّة يستر بها نفسه، ولعلّه اختارها فضفاضة لأنّه يفتقد إلى هذا النوع من الملابس، فضيق حاله لا يمكّنه من ارتداء الثوب الذي يستر كامل جسمه، ممّا يجعلنا نتخيّل ثوبه المرقع الذي يكشف أجزاء من جسمه، ورأسه الحاسر جعله يتمنى طيلساناً يغطيه، كما أنّه تمنّى بغلة سريعة تعينه على الترحال، ممّا يشي بأنّه مُدمى القدمين لفرط ما استخدمهما في السير والتنقل، وأخيراً يتمنّى بيتاً يأوي إليه، مجاوراً فيه أناساً كرماء، يتفقّدونه إذا احتاج إلى مساعدة. وفي أمنيته للجار الكريم، يعكس واقعاً مؤلماً بالنسبة له، فمن المؤكّد أنّ جاره كان بخيلاً لا يعبأ به، لذا تمنّى أن يكون كريماً. ولأنّه يعاني من التجنّب والإهمال تمنّى أن يكون له صديق وفيّ يؤازره، وهذا يعكس قسوة المجتمع على هذه الفئة، فلا أحد يتصل بها، أو يقيم معها أدنى علاقة، ممّا يشعرها بالوحدة القاسية.

ولعلّ حياة اللهو التي سادت في ذلك المجتمع جعلته يتمنى شيئاً منه، وحتى في أمنيته للهوه نراه قنوعا باليسير منه، فهو لا يتمنى سوى جرّة خمر وجارية جميلة ظريفة. تلك هي أقصى أمانيه، والسؤال الذي يفرض نفسه هو: هل تحققّت تلك الأمنيات؟ وهل استجاب المجتمع لمطالب تلك الفئة؟ من المؤكّد أن أمنيات الفقراء ظلّت حبيسة صدورهم، وظلّوا يعانون الفاقة والحرمان، ممّا أفقدهم انتماءهم لذلك المجتمع، وعمّق في نفوسهم مشاعر الحقد والكراهية.

ومن الأمنيات البسيطة التي يحلم بها الفقراء أن يكون لهم راحلة تريحهم عناء الارتحال على أقدامهم، وهذا أبو الشمقمق قد أضناه التعب وتمنّى مطية تكفيه عناء المشي على قدميه:[٣٥]

أَتُرَانِـــي أَرَى مِـــنَ الـــدَّهْرِ يَوْمـــاً ... لِـــيَ فِيـــهِ مَطِيَّـــةٌ غَيْـــرُ رِجْلِـــي
كُلَّمَـــا كُنْـــتُ فِـــي جَمِيـــعٍ فَقَـــالُوا ... قَرِّبُـــوا لِلرَّحِيـــلِ قَرِّبْـــتُ نَعْلِـــي

حَيْثُمَـــا كنـــتُ لا أُخَلِّـــفُ رَحْـــلاً مَـــنْ رَآنِـــي فَقَـــدْ رَآنِـــي وَرَحْلِـــي

هذه أمنيّة أخرى للشاعر، يذكرها يائساً من تحقيقها، وكأنّه لا يأمل في قدوم ذلك اليوم الأغرّ الذي سيمتلك فيه راحلة تخفّف عنه المشقة التي يتكبّدها أثناء سعيه على رزقه من مكان إلى آخر، فكلّما أراد القوم الرحيل وامتطوا ركائبهم لا يجد سوى نعله البالي مطيّته التي لا يجد غيرها. ومن ثم فإنّ أماني الشاعر لا تنبع من الخيال، وهي أبسط ممّا هو كائن في واقع الحياة، ففي الوقت الذي يجد فيه الموسرون الجياد الحسان، فإنّه لا يأمل إلا مطيّة واحدة تخفّف عنه العناء والمشقّة؛ ولأنّه يعلم أنّ تحقيق ذلك من المحال، فإنّه يتواضع في أمنيته متخلياً عن الفرس راضياً بركوب الحمار:(٣٦)

أَلحَمـــــــــدُ للهِ شُـــــــــكْراً أَمْشِـــــي وَيَرْكَـــــبُ غَيْـــــرِي
قَـــــدْ كُنْـــــتُ آمُـــــلُ طِرْفَـــــاً فَصِـــــرتُ أَرْضَـــــى بِعَيْـــــرِ

يـا لهـذه الأمنيـات البسـيطة كيـف تتبـدّد، فبعـد أن تمنّـى خـيلاً إذا بـه يقبـل حمـاراً! إنّ ذلـك يعكـس يـأس الشـاعر وعجـزه المطلـق عـن تحقيـق أمنياتـه، فمهمـا تنـازل عـن كـثير مـن أحلامـه، ومهمـا رضـي بالقليـل منهـا، فإنّـه مـدرك أنّهـا لـن تتحقـق، فلقـد حُرم كـلّ شـيء، حتّـى أحلامـه وأمانيـه، فبعـد أن حلـم بـأمر ظنّـه فـوق مستوى أحلامه، تدارك نفسه وتراجع إلى حلم بسيط يتناسب ووضعه البائس.

**سوء الحظ الذي يلازمهم:**

والطبقة المعدمة التي تعاني قسوة الحياة، تشعر دائماً بأن لا حظّ لها، فمهما سلكت من سبل لتحسين معاشها، تظلّ ترزح تحت وطأة الفقر والحرمان، فأبو الشمقمق يدرك أنّه مهما فعل لتأمين لقمة العيش، فإنّ حظّه العاثر لن يقوده إلاّ إلى مزيد من الجوع:(٣٧)

لَـــو رَكِبْـــتُ البحَـــارَ صَـــارَتْ فِجَاجـــاً لا تَـــرَى فِـــي مُتُونِهَـــا أَمْوَاجَـــا
وَلَـــو انِّـــي وَضَـــعْتُ يَاقُوتَـــةً حَمْـــ ـــرَاءَ فِـــي رَاحَتِـــي لَصَـــارَتْ زُجَاجَـــا
وَلَـــو انِّـــي وَرَدْتُ عَـــذْباً فُرَاتـــاً عَـــادَ لا شَـــكَّ فِيـــهِ مِلْحـــاً أُجَاجَـــا
فَـــإِلَى اللهِ أَشْـــتَكِي وَإِلَـــى الفَضْـــ ـــلِ فَقَـــدْ أَصْـــبَحَتْ بُزَاتِـــي دَجَاجَـــا

تلك هي نظرة الشاعر للطبقات المسحوقة؛ فقد كتب عليها الشقاء والمعاناة، وأن لا سبيل إلى تحسّن وضعها، حتى باتت تشعر بأنّ النحس وسوء الطالع يلازمها أينما

حلّت، فالبحر رمز الخير والعطاء، لو خاضه الشاعر ملتمسا فيه ما يسدّ رمقه لجفّت مياهه، والياقوتة الحمراء التي لا يتغير لونها لو وضعها في يده لتحوّلت إلى زجاج، ولو أنّه ورد الماء العذب ليشفي ظمأه لتحول إلى ملح أجاج!

وتكرر الصورة عند أبي فرعون الساسي، الذي يصف سوء حظه، والنحس الذي يلازمه، ومهما فعل في استجداء النّاس وسؤالهم فلن يتحسّن حاله:(٣٨)

رَأَيْتُ فِي النَّومِ بَخْتِي فِي زِيِّ شَيْخٍ أَرَتِّ
أَعْمَى أَصَمَّ ضَئِيلاً أَبَا بَنِينَ وَبِنْتِ
فَقُلْتُ: حُيِّيتَ رِزْقِي فَقَالَ رِزْقُكَ بِأَسْتِي
فَكَيْفَ لِي بِدَوَاءٍ يُلِينُ لِي بَطْنَ بَخْتِي؟

لعلّنا نعذر الشاعر على تبذّله في ألفاظه ومعانيه، ذلك لأنّ سوء حاله، وبرمه بالنّاس أوصلاه إلى هذا الإسفاف في عرض قضيّته، فقد وصل إلى درجة اليأس. وشعور الإنسان بالإحباط من الحياة، وربما عدم الرغبة فيها، يجعلاه لا يبالي كثيراً بمعانيه، ولسنا بحاجة إلى أنّ نبيّن فصاحته ومقدرته على عرض قضيته بأسلوب أفضل، ولكنّ الفقر والجوع جعلاه يتخيّل حظّه في هيئة شيخ معدم من كلّ شيء، كريه المنظر، رثّ الثياب، أعمى، أصمّ، ضئيل، كثير الأولاد. وحظّ نحس بهذه الصورة القبيحة سيجعل صاحبه في شقاء دائم ولن يصيب من متاع الدنيا شيئا!

**نقد المجتمع الذي لا يعبأ بالفقراء:**

يوجّه أبو الشمقمق سهام نقده إلى تلك الفئة التي تدّعي الكرم، وهي كاذبة في ادّعائها:(٣٩)

الصِّدْقُ فِي أَفْوَاهِهِمْ عَلْقَمٌ وَالإِفْكُ مِثْلُ العَسَلِ المَاذِي
وَكُلُّهُمْ فِي بُخْلِهِمْ صَادِقٌ وَفِي النَّدَى لَيْسَ بِأُسْتَاذِ

فالشاعر في نقده للمجتمع لا يحدّد أعيانا، وإنّما يعبّر عن سخطه على كلّ فئاته، ذلك أنّه وأمثاله سئموا من كذب النّاس ووعودهم المخادعة لهم، ممّا دفعه إلى اتّهامهم بالكذب، ويبدو أن تجربته المريرة جعلته يخرج بهذه النتيجة التي تعكس مدى برمه منهم،

فجميعهم بنظره كاذبون، والصدق الوحيد في حياتهم أنّهم بخلاء، بل هم أساتذة في البخل.

ويكشف عاذر بن شاكر عن برمه بالمجتمع الذي اعتاد على مماطلة الفقراء ومنعهم العطاء:[٤٠]

إذَا كُنْـــــــــتُمُ الكِبَـــــــــارْ  وَكُنَّـــــا لَكُـــــمْ صِـــــغَارْ
وَصِـــــــرْتُمْ تُمَـــــاطِلُون  مَتَـــــى يَقْضِـــــمُ الحِمَـــــارْ؟

إنّها نفس النّغمة التي رأيناها عند معظم الشعراء الذين يمثّلون ظاهرة الفقر، فجميعهم ساخطون على المجتمع، لما يشعرون به من إهماله لهم، كما يكشف الشاعر في هذين البيتّين عن منزلة الفقراء الاجتماعيّة، فحاجتهم وعوزهم جعلهم صغاراً أمام الموسرين الكبار الذين يتمتعون بالمال ويضنّون بالقليل منه على المحتاجين، بل يماطلونهم وربّما يتهرّبون من القيام بواجباتهم الدينيّة والإنسانيّة نحوهم.

وحديث أبي فرعون الساسي الحزين إلى ابنته يعكس مدى برمه بالمجتمع الذي لا يعبأ بالفقراء، يقول:[٤١]

بُنَيَّـــــي هَـــــدَّنِي الزَّمَـــــانُ  وَمَلَّنِــــي الأَهْلُـــــونَ والاخْـــوَانُ
رَدَّ فُـــــلاَنٌ وَجَفَـــــا فُـــــلاَنُ  وَاللهُ رَبُّ النَّـــــاسِ مُسْـــــتَعَانُ

يوجّه الشاعر خطابه وهو منكسر النفس إلى ابنته، يخبرها بحقيقة المجتمع الظالم الذي لا يريد أن يستمع لهذه الفئة المسحوقة، بل إنّ أقسى ما يعانيه أن أقرب المقربين له من أهله وإخوانه قد ملّوا شكواه، فبعضهم جافاه وهجره، والبعض الآخر ردّ طلبه، وأمام هذا الواقع المؤلم ليس أمامه إلاّ أن يلجأ إلى الله تعالى طالبا منه العون. والشاعر في هذين البيتين يعكس حال الفقراء في فقدانهم الأمل من المجتمع، الأمر الذي أورثهم اليأس من تحسين أوضاعهم، لا سيما أنّ المقربين منهم والذين كانوا يأملون مساعدتهم قد هجروهم وتخلّوا عنهم.

**انتجاع الموسرين**:

ولّما كان المجتمع لا يلتفت إلى تلك الطبقة، فقد تعيّن على أبي الشمقمق أن يوظّف كلّ طاقاته للخروج من المأساة التي يعانيها، منتجعاً بعض الأشراف لعلّه ينال شيئاً من عطائهم:[٤٢]

يَـــا أَيُّهَـــا المَلِـــكُ الـــذِي جَمَـــعَ الجَلالَـــةَ والوَقَـــارَهْ
وَرِثَ المَكَـــارِمَ صَـــالِحاً والجُـــودَ مِنْـــهُ والعَمَـــارَهْ
إِنِّـــي رَأَيْتُـــكَ فِـــي المَنَـــا م وَعَـــدْتَنِي مِنْـــكَ الزِّيَـــارَهْ
فَغَـــدَوْتُ نَحْـــوَكَ قَاصِـــداً وَعَلَيْـــكَ تَصْـــدِيقُ العِبَـــارَهْ
أَنِّـــي أَتَـــانِي بِالنَّـــدَى والجُـــودِ مِنْـــكَ إِلَـــى البِشَـــارَهْ
إِنَّ العِيَـــالَ تَـــرَكْتُهُمْ بِالمِصْـــرِ خُبْـــزُهُمُ العُصَـــارَهْ
وَشَـــرَابُهُمْ بَـــوْلُ الحِمَـــا رِ مِزَاجُـــهُ بَـــوْلُ الحِمَـــارَهْ
ضَـــجُّوا فَقُلْـــتُ تَصَـــبَّرُوا فَـــالنَّجْعُ يُقْـــرَنُ بِالصَّـــبَارَهْ
حَتَّـــى أَزُورَ الهَاشِمِـــيَّ أَخَـــا الغَضَـــارَةِ وَالنَّضَـــارَهْ
وَلَقَـــدْ غَـــدَوْتُ وَلَـــيْسَ لِـــي إِلاّ مَـــدِيحَكَ مِـــنْ تِجَـــارَهْ

وجليّ أنّ الشاعر غير محترف مهنة المدح كغيره من الشعراء، ذلك لأنّ الحرمان الذي يكابده أفقده التغنّي بألوان النّعيم التي كان الشعراء يقدّمون بها قصائدهم إلى ممدوحيهم، فقدّم قصيدته بمقدّمة هزيلة، نفد منها إلى الهاشميّ الذي قصده، محاولاً أن يحتال عليه بما رآه في منامه، فقد رأى أنّ الهاشمي وعده بزيارة، فجاءه ملبّياً الدعوة، وكأنّه يوحي له بأنّ رؤية الشريف في المنام حقّ ولا بدّ من تحقيقها. ولعلّ هذه الحيلة التي اتّخذها الشاعر تشي بأنّ القوم لا يفكّرون في أبي الشمقمق وأمثاله، لذا فليس أمامهم سوى أن يحتالوا عليهم. ثم لم يلبث الشاعر بعد أن أسبغ على ممدوحه بعض الصفات النبيلة، مركّزاً على قيمة الكرم التي يتمتع بها، راح يشرح له حال أبنائه الذين اتّخذوا من بقايا الطعام خبزاً لهم، أمّا شرابهم فهو بول الحمار ممزوجاً ببول الحمارة! والشاعر إذ ينقل هذه الصورة عن أبنائه إنّما يحاول أن يسترقّ قلب ممدوحه الذي قال فيه أنّه يستبشر به وبعطاياه.

ثم يعرض له ضجر أولاده من قسوة الحياة التي يعانونها، وأنّهم فقدوا صبرهم، ولم يعد لديهم حيلة على تحمّل ذلك الهوان، ممّا حدا بالشاعر إلى أن يصبّرهم ويمنيهم بأنّ البشارة آتية بعد زيارة الهاشميّ، وهو بهذه اللفتة يوحي لممدوحه بحجم الآمال الكبيرة التي يعلّقها عليه. كما أنّه لا يستحي من أن يفصح عن غرض الزيارة بقوله (وليس لي

إلاّ مديحك من تجارة)، ممّا يدلل على أنّ سوء أحوال أبي الشمقمق جعلته لا يخجل من ذلّ السؤال، فالجوع والحرمان اللذان يعانيهما أكبر من ذلّ السؤال. والشاعر وإن أخفق في اتّباع أصول المدح والتكسب بالشعر، إلاّ أنّه استطاع أن ينقل همّه الذي يمثل قضيّته الأولى في حياته، وهو همّ الفقر.

ويبتكر أبو الشمقمق غير حيلة مع ممدوحيه، وذلك من خلال المقارنة بين ممدوحين، وهو أسلوب طريف، من شأنه أن يغري الممدوح الفاضل فيزيد له في العطاء:(٤٣)

قَـالَ لِـي النَّـاسُ زُرْ سَـعِيدَ بـنَ سَـلْمٍ ... قُلْـــتُ للنَّـــاسَ: لا أَزُورُ سَـــعِيدَا
وَأَمِـــيرِي فَتَـــى خُزَاعَـــةَ بِالبَصْـــ ... ـــرَةِ قَـــدْ عَمَّهَـــا سَـــمَاحَاً وَجُـــودَا
وَلَـــنِعْمَ الفَتَـــى سَـــعِيدٌ وَلَكِـــنْ ... مَالِـــكٌ أَكْـــرَمُ البَرِيَّـــةِ عُـــودَا

هذه حيلة أخرى اتّبعها أبو الشمقمق في إغراء ممدوحيه، فهو يمدح الاثنين معا، ولكنّه يفاضل بينهما في الكرم، واللافت أن الشاعر يفاضل بين رجلين كلاهما يشغل منصب والٍ، وكأنّه أراد أن يذكي بينهما روح المنافسة التي ستكون نتائجها لصالحه؛ لذا راح يفضّل والي البصرة على والي الموصل، بهدف أن يزيد في عطائه. ولعلّ هذه الوسيلة الساذجة والتي كان يتقبّلها الولاة من الشعراء الشعبيين، تشي بحجم الفاقة التي وصل إليها الشاعر، فهو يطرق كلّ الأبواب، ويتوسّل بكل الطرق الشريفة والدنيئة.

وأبو فرعون الساسي لا يمل من طرق جميع الأبواب، فيرفع شكايته إلى قاضي البصرة يناشده فيها أن يهبه شيئا من مال الدولة:(٤٤)

يَـا قَاضِـيَ البَصْـرَةِ ذَا الوَجْـهِ الأَغَـرْ ... إِلَيْـكَ أَشْـكُو مَـا مَضَـى وَمَـا غَبَـرْ
عَفَـــا زَمَـــانٌ وَشِـــتَاءٌ قَـــدْ حَضَـــرْ ... إِنَّ أَبَـــا عَمْـــرَةَ فِـــي بَيْتِـــي انْجَحَـــرْ
يَضْـــرِبُ بِالـــدُّفِّ وَإِنْ شَـــاءَ زَمَـــرْ ... فَـــاطْرِدْهُ عَنِّـــي بِـــدَقِيقٍ يُنْتَظَـــرْ

يشرح الشاعر للقاضي بإيجاز سوء حاله الذي يعيشه منذ زمن بعيد، فقد حلّ الجوع (أبو عمرة) ضيفا ثقيلا على بيته لا يبارحه، لذا يرجوه مدّ يد العون إليه بتقديم الدقيق الذي يطرد ذلك الزائر غير المرغوب فيه؛ "فأجابه القاضي إلى ما سأل"(٤٥).

ومن الصور الطريفة التي قدّمها بعض الشعراء للحصول على العون من موسري المجتمع، ما عبّر عنه عاذر بن شاكر، يقول: :(٤٦)

دَفْتَــــــرٌ فيــــــهِ أَسَــــــامِي كُـــــــلِّ قَـــــــرْمٍ وَهُمَــــــامِ
وكَــــــرِيمٍ يُظْهِــــــرُ البِشْــــــ ـــــــرَ لَنَـــــا عِنْــــدَ السَّـــــلاَمِ
يُوجِـــــبُ النِّصْــــفَ عَلَيْـــــهِ حَاتِمــــــاً فِـــــي كُـــــلِّ عَـــــامِ
أَو فُلُوســـــاً كُـــــلَّ شَـــــهْرٍ لِثَــــــــــلاَثِينَ تَمَــــــــامِ

وهـذه وسـيلة جديـدة لم نعهـدها عنـد كثير مـن شـعراء الفقـر والحرمـان، فقـد رأينـا بعضهم يعتمد المدح وسيلته الأساسيّة في نيل عطاء الموسرين، وكذا راوح بعضهـم بين المدح والهجاء، واشتهر بعضهم الآخر بالشكوى، أمّا عاذر بن شاكر (أبو المخفف) فقد ابتدع أسلوباً جديداً يعتمد على التسوّل المنظّم، فقد كان لـه دفتر يسجل فيه أسماء الموسرين ووظائفهم من أهل بغداد، ثم يقوم بجولاته الدوريّة عليهم ليأخذ نصيبه من عطائهم. وينقل لنا الشاعر سلوك هؤلاء الأغنياء عندما كان يقوم بزيارتهم، فبعضهـم يلقاه بالبشر والترحاب والسّلام، وبعضهم الآخر يخصص له عطاء مرّة كلّ نصف عام، وبعضهم ينقده فلوساً مرّة كلّ شهر.

**هجاء بخلاء المجتمع**:

أمّا لوحات الهجاء فقد عبّر عنها أبو الشمقمق بأقذع أسلوب يمكن أن يستخدمه شاعر، عاكساً سخطه على تلك الفئة من المجتمع التي لا تلتفت إليه وإلى أمثاله، من ذلك هجاؤه لمحمد بن منصور، إذ يقول:(٤٧)

مَــا كُنْــتُ أَحْسَــبُ أَنَّ الخُبْــزَ فَاكِهَــةٌ حتَّــى نَزَلْــتُ عَلَــى أَرْضِ بــن منصــور
الحَــابِسِ الــرَّوْث فــي أَعْفَــاجِ بَغْلَتِــهِ خَوْفــاً عَلَــى الحَــبِّ مِــنْ لَقْــطِ العَصَــافِيرِ
يَــبْسُ اليَــدَيْنِ فَمَــا يَسْـطِيعُ بَسْـطَهُمَا كَـــأَنَّ كَفَّيْـــهِ شُـــدَّا بِالمَسَـــامِيرِ
عَهْــدِي بِــهِ آنِفــاً فِــي مَــرْبَطٍ لَهُــمُ يُكَسْــكِسُ الــرَّوْثَ عَــنْ نَقْــرِ العَصَــافِيرِ

يرسـم الشـاعر في لوحاته الـتي يهجـو بهـا بعـض بخلاء زمانه، الصـورة النموذجيّـة للبخيـل، ولعلّنـا لا نجد هـذه الصـورة إلاّ في أشـعار هـذه الفئـة المسـحوقة، وبـالرغم مـن بسـاطتها، وسـهولة إدراكهـا، إلاّ أنّهـا تحمـل أبعـاداً عميقـة في نفسـيّة الشـاعر، ذلـك لأنّ البخلاء وما يمثلونه من حرص شديد وتكالب على الـدنيا، جعلـوا الفقـراء يضـيقون بهـم ذرعاً، بل أصبحوا ألدّ أعدائهم.

أمّا صورة البخيل فيقدّمها بأسلوب ساخر، قد لا يعكس الحقيقة، ولكنّها تحمل في طياتها معان كثيرة، فالخبز عند البخيل استحال إلى فاكهة، فبدلاً من أن يكون عنصراً أساسيّاً في طعامه، أصبح شيئاً من الكماليات التي يمكن أن يُستغنى عنها، ولشدّة حرصه فإنّه يحبس روث بغلته في أمعائها، مخافة أن تلتقط العصافير بعض الحبّ الذي يخرج مع روثها. ولعلّ هذه المبالغة في تصوير البخيل تعكس شدّة حرصه، فإذا كان يضنّ على العصافير بروث بغلته، فكيف به إذا جاءه فقير معوز؟ وصورة أخرى من صور حرصه أنّ يديه لا تعرف الانبساط، فهما دائماً مغلولتان وكأنّما دقّتا بمسامير، فهو لا يعرف شيئاً اسمه الإنفاق، بل من شدّة حرصه وبخله، أنّه في إقامة دائمة في مربط دوابه، يلقّط الحبّ من روثها!

وهكذا تبدو شخصية البخيل من أكثر الشخصيات ذمّا وكرها عند شعراء الكدّية، لا سيما إذا منع الشاعر من عطاء اعتاده، من ذلك المفاضلة التي عقدها أبو الشمقمق بين والي الموصل ووالي البصرة، يقول:(٤٨)

قَدْ مَرَرْنَا بِمَالِكٍ فَوَجَدْنَا ... هُ جَوَاداً إِلَى المَكَارِمِ يَنْمِي
مَا يُبَالِي أَتَاهُ ضَيْفٌ مُخِفٌّ ... أَمْ أَتَتْهُ يَأْجُوجُ مِنْ خَلْفِ رَدْمِ
فَانْتَهَيْنَا إِلَى سَعِيدِ بْنِ سَلْمٍ ... فَإِذَا ضَيْفُهُ مِنَ الجُوعِ يَرْمِي
وَإِذَا خُبْزُهُ عَلَيْهِ سَيَكْفِي ... كَهُمُ اللهُ مَا بَدَا ضَوْءُ نَجْمِ
وَإِذَا خَاتَمُ النَّبِيِّ سُلَيْمَا ... نَ بْنِ دَاوودَ قَدْ عَلاَهُ بِخَتْمِ
فَارْتَحَلْنَا مِنْ عِنْدِ هَذَا بِحَمْدٍ ... وَارْتَحَلْنَا مِنْ عِنْدِ هَذَا بِذَمِّ

فسعيد بن سلْم (والي الموصل) كان قد مدحه من قبل، ولكنّه بعد أن منعه العطاء تحوّل إلى بخيل يستحقّ الذمّ، وقبل أن يفرغ سمّه في ذمّه يمدح والي البصرة -ويبدو أنّه أكرمه وزاد في عطائه- فنعته بالسخاء، وكرم الخلق، ذلك لأنّه يكرم كلّ من يفد إليه، سواء أكان فقيرا بائسا مثل الشاعر، أم جمعا غفيرا من الضيوف، فإنّه لا يتردد في وفادتهم وإكرامهم. أمّا النموذج الآخر الذي يمثّل الشح والبخل (والي الموصل) فإن ضيفه يعاني الجوع لقلّة زاده، وكأن خبزه الذي يقدّمه لا يريد له أن ينقص، ومن شدّة

حرصه عليه كأنّه ختمه بخاتم سليمان حتى يبقى مستوثقا منه، فلا يهلكه ذلك الضيف، إشارة إلى بخله وحرصه.

والشاعر إذ يقدّم نموذجين في آن واحد للكريم والبخيل، إنّما يرمي إلى أن يغري الكريم بمضاعفة العطاء، وربما يحذّره من إنقاصه حتى لا ينال من الهجاء ما ناله البخيل، لذا يصرّح بجرأة بأن الكريم يستحقّ الحمد والثناء، بينما ينال البخيل الذمّ والهجاء.

## التمثيل الشعري لظاهرة الفقر في شعر القرن الثاني الهجري:

### المعجم اللغوي لألفاظ الشعراء:

امتاز المعجم اللفظي لشعراء الفقر والعوز بمجموعة من الألفاظ تتكرر عند أغلبهم، ولعلّنا لا نجدها عند غيرهم من شعراء القرن الثاني، وقد عكست تلك الألفاظ الواقع الاجتماعي والاقتصادي لطبقة الفقراء والمعوزين في المجتمع، وقد صورت أحاسيسهم وأمنياتهم وآلامهم وآمالهم.

ومن الألفاظ الأكثر شيوعا تلك التي تصف أصناف الأطعمة مثل: (أرز، تمر، خبز، دقيق، رغيف، لحم، ماء، خبيص {حلوى مخبوصة بالتمر والسمن}، حنطة، جُرْدُق {رغيف بالفارسيّة}، دقيق، زاد، شراب، شواء، طعام، عسل، فاكهة، قلز (نوع من الشراب)، لبن/ مذق،...). كذلك نجد الألفاظ المعبرة عن سوء أحوالهم مثل: (أبو عمرة، أخلقت ريطتي {ريطة: ثوب رقيق}، أعشب تنوري، أفلس-مفلس، أقفر-فقر، البرد، جوع/ جائع، قمل، أهزل-هزال، أودى، بؤس- بائس، بالية، بخت، ترقيع، خميص {خمص البطن: خلا وضمر}، رهيص {واهن}، صوم، ضرطة، ضئيل، عطش، عليل، عيش، المحال، ...). كما نجد ألفاظا أخرى شاعت في أشعارهم تتناول وصف بيوتهم وأثاثهم البالي، مثل: (أصيص {دن مقطوع الرأس، أو نصف جرّة}، أديم {جلد لم يدبغ}، أطمار {مجموعة ثياب بالية}، إكاف {مثل الرحل}، بجاد {كساء مخطط}، بيت الجرين {موضع التمر الذي يجفف}، تلبيس {ما يكسى به السرير}، تنور، حِب، جراب، جرة، حصيرة، خوان، دثر، دن، دورق {جرة}، كوز، زبيل، سِجَال {دلو عظيمة مملوءة}، سرير، سَلَف {جراب ضخم}، فخارة، قباب، قطف، قرقارة، كوز، لحاف، ...).

كما يكثر في معجمهم أسماء الحيوانات البيتية، نحو: (بغل/ بغلة، ذر، وز، جحش، حمار/حمارة، خنفس (خنافس/خنفسات)، ذباب/ذبان، سم بريص، سنّور، ضفدع، طير، عنز، عنكبوت، فأر، قِرادة، ماعز، كلب، بطة، مطية، ...). إضافة إلى ألفاظ الاستجداء والاستغاثة، نحو: (أرحني، أحي نفسي، اكسني، تطوّع، جد لي).

**توظيف الصور الشعرية في التعبير عن الفقر والعوز:**

تعدّ الصور الحوارية التي أنشأها شعراء الفقر والعوز مع الحيوانات البيتيّة من أكثر الصور طرافة وتعبيراً عن حالة البؤس التي يعيشونها، ومن هذه الصور حوار أبي الشمقمق مع سنّور بيته، يقول:(٤٩)

وَأَقَامَ السِّنَّورُ فِي البَيْتِ حَوْلاً ... مَا يَرَى فِي جَوَانِبِ البَيْتِ فَارَه
يُنْغِصُ الرَّأْسَ مَنْهُ مِنْ شِدَّةِ الجُو ... عِ وَعَيْشٍ فِيهِ أَذًى وَمَرَارَه
قُلْتُ لَمَّا رَأَيْتُهُ نَاكِسَ الرَّأْ ... سِ كَئِيباً وَفِي الجَوْفِ مِنْهُ حَرَارَه
وَيْكَ صَبْراً فَأَنْتَ مِنْ خَيْرِ سِنَّـ ... ـوْرٍ رَأَتْهُ عَيْنَايَ قَطُّ بِحَارَه
قَالَ لاَ صَبْرَ لِي، وَكَيْفَ مُقَامِي ... بِبُيُوتٍ قَفْرٍ كَجَوْفِ الحِمَارَه
قُلْتُ سِرْ رَاشِداً إِلَى بَيْتِ جَارٍ ... مُخْصِبٍ رَحْلُهُ عَظِيمِ التِّجَارَه

ومن الصور التي وظّفها شعراء الفقر للتعبير عن أثر الفقر على أجسامهم، تشبيه أبي الشمقمق نفسه بالخفاش، الذي لا يبصر بالنّهار، ومن المحقق أنّه لا يبصر بالليل:(٥٠)

صِرْتُ كَالخُفَّاشِ لاَ أُبْصِرُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ

كما وظفوا الصورة الشعرية لوصف بيوتهم المقفرة، من ذلك قول أبي الشمقمق:(٥١)

فَمَنْزِلِيَ الفَضَاءُ وَسَقْفُ بَيْتِي ... سَمَاءُ اللهِ أَوْ قِطَعُ السَّحَابِ

تتجلّى عدميّة البيت من خلال تشبيهه بالفضاء، فلا جدران ولا أبواب، أمّا سقف ذلك المنزل الفسيح فقد شبّهه بالسماء أو بالسحاب، ممّا يشي بأنّ الرجل يفتقر إلى بيت يؤويه.

٤يقول:(٥٢)

عَفَا زَمَانٌ وَشِتَاءٌ قَدْ حَضَرْ ... إِنَّ أَبَا عَمْرَةَ فِي بَيْتِي انْجَحَرْ
يَضْرِبُ بِالدُّفِّ وَإِنْ شَاءَ زَمَرْ ... فَاطْرُدْهُ عَنِّي بِدَقِيقٍ يُنْتَظَرْ

ومن طريف الصورة تجسيمه للشتاء بصورة إنسان يضرب بالدفّ ويصدر أصواتاً نافرة بمزماره، والصورة الصوتيّة للشتاء تنبئ بخلوّ هذا البيت من أدنى إعداد لمواجهة البرد القارص، فسماع أصوات الرعود والصفير يجعلنا نتخيل هشاشة البيت فلا نوافذ ولا أبواب.

كما كان للصورة دور في الكشف عن سوء حظهم، فهذا أبو فرعون الساسي يصف بخته الذي رآه في منامه:(٥٣)

رَأَيْـــتُ فِـــي النَّـــومِ بَخْتِـــي ... فِـــي زِيِّ شَـــيْخٍ أَرَتِّ
أَعْمَـــى أَصَـــمَّ ضَـــئِيلاً ... أَبَـــا بَنِـــيْنَ وَبِنْـــتِ
فَقُلْـــتُ: حُيِّيـــتَ رِزْقِـــي ... فَقَـــالَ رِزْقُـــكَ بِاسْـــتِي
فَكَيْـــفَ لِـــي بِـــدَوَاءٍ ... يُلِـــينُ لِـــي بَطْـــنَ بَخْتِـــي؟

يجسد الشاعر بخته في صورة شيخ أرتّ، عامدا إلى استقصاء صورة هذا الشيخ، فهو أعمى أصم ضيئل وله أبناء كثر من البنين والبنات، ثم يخاطب هذا الشيخ البائس طالبا منه رزقه، فيجيبه: رزقك في إستي! ومن ثم يبحث الشاعر عن دواء ملّين لبطنه كي يرى هذا الرزق!

ومن الصور الطريفة التي تثير الشفقة والرحمة في القلوب تصوير أبي فرعون الساسي لأبنائه:(٥٤)

وَصِـــبْيَةٍ مِثْـــلِ صِـــغَارِ الـــذَّرِّ ... سُـــودِ الوُجُـــوهِ كَسَـــوادِ القِـــدْرِ
جَـــاءَهُمُ البَـــرْدُ وَهُـــمْ بِشَـــرِّ ... بِغَيْـــرِ قُطْـــفٍ وبِغَيْـــرِ دُثْـــرِ
تَـــرَاهُمُ بَعْـــدَ صَـــلاةِ العَصْـــرِ ... بَعْضُـــهُمُ مُلْتَصِـــقٌ بِصَـــدْرِي
وآخَـــرٌ مُلْتَصِـــقٌ بِظَهْـــرِي ... إِذَا بَكُـــوا عَلَّلْـــتُهُمْ بِـــالفَجْرِ
حَتَّـــى إِذَا لاحَ عَمُـــودُ الفَجْـــرِ ... وَلاَحَـــتِ الشَّـــمْسُ خَرَجْـــتُ
عَـــنْهُمْ وَحَلُّـــوا بِأُصُـــولِ الجُـــدْرِ ... كَـــأَنهُم خَنَـــافِسٌ فِـــي جُحْـــرِ

إنّها صورة تثير الشفقة والرحمة في القلوب، فقد وظّف الشاعر اللون الأسود ثلاث مرات: الأولى عندما شبّههم بصغار الذرّ، والثانية بتشبيهه لهم بسواد القدر، والثالثة حينما شبّههم بالخنافس، وهذا اللون ألقى بظلاله على الصورة برمّتها، ممّا يشي بالنظرة

السوداوية التي تغلف حياته، وهذا يعكس يأسه من بصيص أمل في تحسّن ظروفه المعيشيّة. ولنتأمّل الصورة التجسيديّة للبرد الذي جاءهم وهم بأسوأ حال بلا قُطف أو دُثر. والصورة الحركيّة الأخرى التي يواجهون بها البرد حيث يلتصق أحدهم بصدره وآخر بظهره، تكشف عن شدّة معاناتهم من البرد الشديد فلا يجدون مخرجاً سوى أن يلتصقوا بوالدهم لعلّه يؤمّن لهم بعض الدفء، والصورة الأكثر قسوة تشبيههم بالخنافس التي تقوقعت على نفسها في جحر صغير، ممّا ينبئ بأنّهم لا يقدرون على النوم بسبب البرد والجوع، كما أنّهم لا يقوون على الإبصار في النهار للإنهاك الشديد الذي يعانونه.

أما البخلاء فقد كان حظّهم وافرا من صور هؤلاء الشعراء، من ذلك قول أبي الشمقمق:(٥٥)

الصِّـــدْقُ فِـــي أَفْـــوَاهِهِمْ عَلْقَـــمٌ وَالإِفْـــكُ مِثْـــلُ العَسَـــلِ المَـــاذِي
وَكُلّهُـــمْ فِـــي بُخْلِهِـــمْ صَـــادِقٌ وَفِـــي النَّـــدَى لَـــيْسَ بِأُسْـــتَاذِ

يبدو أنّ الصورة الذوقيّة لها دورها في التعبير عن المعاني الخفيّة التي يريدها الشعراء، فأيّ تعبير أبلغ من تصوير صدق موسري مجتمعه بالعلقم؟ وكذا تصوير كذبهم بالعسل، ممّا يدلل على تجرّع الشاعر كثيراً من علقم هؤلاء بكذبهم عليه ونقضهم لوعودهم له.

ومن الصور التي تحمل هجاء مريرا لأحد البخلاء قوله:(٥٦)

وَإِبْطُـــكَ قَـــابِضُ الأَرْوَاحِ يَرْمِـــي بِسَـــهْمِ المَـــوْتِ مِـــنْ تَحْـــتِ الثِّيَـــابِ
شَـــرَابُكَ فِـــي السَّـــرَابِ إِذَا عَطِشْـــنَا وَخُبْـــزُكَ عِنْـــدَ مُنْقَطَـــعِ التُّـــرَابِ

فقد وظّف الشاعر الصورة الشميّة في هجاء ذلك البخيل جاعلا رائحة إبطه النّتنة ترمي بسهم الموت من يستنشقها، أمّا شرابه فهو كالسراب تراه دون أن تحسّه.

**النتائج:**

- لم يكن شعر الفقر والعوز من نتاج القرن الثاني الهجري، فقد بدأت إرهاصات التعبير عن تردي الأحوال الاقتصادية في القرن الأول الهجري، ولكنّ الظاهرة تبلورت في القرن الثاني وظهر مجموعة من الشعراء قصروا شعرهم على هذا الموضوع.

- ومن أسباب تزايد شريحة الفقراء والمحرومين في مجتمع القرن الثاني السياسات المالية الجائرة التي كانت تتبعها الدولتان الأموية والعباسيّة، وانصرافهما إلى إغداق الأموال الطائلة على طبقة المقربين والموالين لهما.
- لم يعر كبار الشعراء طبقة الفقراء والمحرومين كثيراً من اهتمامهم، ولم يعبّروا عن آلامهم بما ينسجم وحجم معاناتهم؛ ذلك لأنّهم أشغلوا أنفسهم بالدفاع عن الأحزاب المتصارعة والترويج لها، وانغماس بعضهم في حياة اللهو التي كانت سائدة آنذاك، كما أنّ الرواة لم يعتنوا كثيراً بالشعر الشعبي لأنّه لا يتضمن معجماً لُغوياً ثرياً يستحق الحفظ والاحتجاج به.
- من أبرز سمات ذلك الشعر اتّكاء شعرائه على السخرية في عرض قضاياهم، تلك السخرية التي تمثّل قناعاً لقضايا إنسانيّة مؤلمة تعكس سوء أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، ومن سمات ذلك الشعر أنّه يقوم على الاستجداء وطلب الاستغاثة من موسري المجتمع وأغنيائه، ودعوتهم إلى أن يلتفتوا إلى تلك الطبقة ويولوها بعض عنايتهم.
- ومن أبرز الموضوعات التي تناولها شعراؤه، وصفهم لبيوتهم المفقرة من كلّ شيء، وآنيتهم الفارغة من الطعام وفرشهم البالية وثيابهم المقطّعة، كما تطرقوا في أشعارهم إلى وصف بؤس أولادهم والأمراض الكثيرة التي تكتنفهم. وكذلك تحدثوا عن آمالهم المتواضعة والتي تكاد تنحصر في مجملها في تأمين الخبز الذي كان يمثّل لهم مطمعاً عزيزاً في حياتهم. كما يظهر في أشعارهم النقد اللاذع للمجتمع وسخطهم عليه.
- أبرز شعراء الفقر والعوز: الحكم بن عبدل، وعمّار ذو كبار، وأبو الشمقمق، وأبو فرعون الساسي، وعاذر بن شاكر (أبو المخفف).

## هوامش البحث

(١) شوقي ضيف، العصر الإسلامي: ١٩٤-١٩٥، القاهرة، الطبعة الثامنة عشرة، ب ت.

(٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: ٣٨٦/٢، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
(٣) السابق: ٣٨٦/٢
(٤) السابق: ٣٨٦/٢
(٥) حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي: ٣٨ ، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٩٥/٦ ، طبعة دار صادر، بيروت، ب ط، ب ت.
(٧) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول: ٤٥، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة، ب ت.
(٨) الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول: ٢٤-٢٥
(٩) أبو العتاهية، إسماعيل بن قاسم {ت ٢١١هـ}، ديوانه: ٤٣٨، تحقيق شكري فيصل، أبو العتاهية أشعاره وأخباره، دار الملاّح للطباعة والنشر، دمشق، ب ط، ب ت.

(١٠) انظر حسن إسماعيل عبد الغني، ظاهرة الكدية في الأدب العربي: ١٩-٢٢، مكتبة الزهراء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
وانظر عبد الهادي حرب، موسوعة أدب المحتالين: ٢٧-٤٠ ، دار التكوين، دمشق- سوريا، ٢٠٠٨. (أفرد فصلا كاملا للتعريف بالمفهوم اللغوي والأدبي لمصطلح الكدّية).
(١١) انظر موسوعة أدب المحتالين: ٣٢٦-٣٣٩ (يرى صاحب الموسوعة أن ثمة علاقة وطيدة بين الصعلكة والكدّية، فيرى أنّ المكدّي القوي هو الصعلوك الضعيف بعينه، وأنّ الصعلوك الضعيف هو المكدّي بعينه، كما يرى أنّ نقطة البدء عند الفريقين واحدة وهي الفقر والحاجة، وأنّ الغاية واحدة هي الاغتناء، ...الخ)
(١٢) الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول: ٣٤
(١٣) محمد مصطفى هدّارة، اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري: ص ٢٠٢، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
(١٤) انفرد صاحب الأغاني بذكر نتف من أخباره منها: اسمه عمّار بن عبد الأكبر، كوفي، وقد كان ماجنا معاقرا للشراب، وقد حدّ فيه مرات، أما شعره فقد كان يقول شعرا ظريفا، كما كان له شعر صالح، إلا أنه لم ينتجع أحدا بشعره مع شهوة الناس لسماعهم إياه، وكان لا

يبارح الكوفة بسبب عشاه وضعف بصره، وكان معاصرا لمطيع بن إياس وحماد الراوية. (انظر الأغاني: ١٨١/٢٤).

وقد ورد اسمه في بعض الروايات عمار ذو كِناز. (انظر شعراء عباسيون منسيون: ٣٠٣/٤)

(١٥) إبراهيم النجار، شعراء عباسيّون منسيون: ٣١٢/٤ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧. (الأغاني:١٩٢/٢٤)

(١٦) الحكم بن عبدل بن جبلة من قبيلة أسد من خزيمة، وكان أعرج أحدب، ومنزله ومنشؤه الكوفة، وقد وظّف شعره مدحا وهجاء في استجداء الخلفاء والولاة والموسرين، متخذا من إظهار الفقر والتصعلك وسيلة للحصول على المال، كما كان هجّاء خبيث اللسان، لا يتواني عن توجيه أقذع الهجاء إلى من يضنّ عليه بالعطاء. (انظر الأغاني: ٣٩٦/٢، وانظر وفيات الأعيان: ١٧٢/٢، وانظر معجم الأدباء: ١٣٤/٤)

(١٧) إبراهيم النجار، شعراء عبّاسيّون منسيّون: ٩١/٤ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

وانظر الجاحظ، كتاب الحيوان: ٢٩٧/٥-٢٩٩

(١٨) سِجَال: جمع سجل وهي الدلو العظيمة المملوءة. السيب: العطاء. السَلَف: الجراب الضخم. التّعامس: التّغافل والتّعامي. الأصيص: الدنّ مقطوع الرأس، أو الباطية، وفي الصحاح: ما تكسّر من الآنية، وهو نصف الجرّة أو الخابية. الأديم: الجلد الذي لم يدبغ. الإكاف: الرذعة، أو مثل الرحل، يكون للبعير والحمار والبغل. نشيط: علم من أعلام النّاس.

(١٩) ورد ذكره عند ابن الجراح: «أبو فرعون الساسي، التيميّ العدويّ، من عديّ الرّباب، اسمه شويس، أعرابي بدوي، قدم البصرة يسأل النّاس بها، وكانت له أشعار طريفة□ (انظر الورقة: ٥٦)، كما وصفه ابن المعتز في طبقاته: «كان من أفصح النّاس وأجودهم شعراً، وأكثرهم نادرة، ولكنّه لا يصبر على الكدية□ (انظر طبقات الشعراء المحدثين: ٤٢٦)، ويرى أحمد كمال زكي أنّ شعره يعدّ صيحة أخرى من صيحات الفقر تضج بها سماء البصرة. (انظر الحياة الأدبية في البصرة: ٤٤٢)

(٢٠) السابق: ٨٠/٤ (هناك بيت رابع نعفّ عن ذكره) ، أبو عمرة: اسم للجوع أو الإفلاس من كل شيء، ويرى إبراهيم النجار أنّ أبا عمرة: صاحب شرطة المختار بن عبيد كان لا ينزل بقوم إلاّ احتجاجهم، فصار مثلا لكلّ شؤم وشرّ.

(٢١) «اسمه مروان بن محمد يكنى أبا محمد وأبو الشمقمق لقب والشمقمق الطويل، وهو مولى بني أمية من بخارية» وقد كان قبيح الشكل «عظيم الأنف أهرت الشدقين منكر المنظر» (انظر معجم الشعراء للمرزباني: ٢٨٦)، ويرى ابن خلكان أنّه كان كوفيا من موالي مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية. (وفيات الأعيان: ٢٨٦/٥)، وذكر ابن النديم أن ديوانه في سبعين ورقة. (الفهرست: ٣١٠)، كما يصفه ابن المعتز بقوله: «وشعر أبي الشمقمق نوادر كلّه» (طبقات الشعراء المحدثين: ١٦٠)

(٢٢) أبو الشمقمق، مروان بن محمد {ت ١٨٠هـ}، ديوانه: ٧٧-٧٨، تحقيق: واضح محمد الصمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

(٢٣) انفرد ابن الجراح في كتابه الورقة بترجمة موجزة عن حياته، جاء فيها «عاذر بن شاكر، كان في أيام المأمون وبعد ذلك في بغداد، وله أشعار في وصف الخبز»، ويصفه بأنّه «كان ظريفاً طيّباً شاعراً»، ويبدو من أشعاره أنّه كان متفرغاً للكدية فقد «كان يركب حماراً، وتركب جارية له على حمار آخر -وتحتها خُرْجٌ- ويدور في بغداد، ولا يمرّ بذي سلطان ولا تاجر ولا صانع إلاّ أخذ منه شيئاً يسيراً، مثل قطعة أو رغيف أو كسرة». (انظر الورقة: ١٢٢)

(٢٤) أحمد كمال زكي، الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري: ٤٤٨، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.

(٢٥) شعراء عبّاسيّون منسيّون: ٣٥٠/٤ ، وانظر الورقة: ١٢٣

(٢٦) ديوان أبي الشمقمق: ٥٣-٥٥ ( ينغص الرأس: يحركه إلى فوق وإلى أسفل. ويك: كلمة مثل ويح. القرقارة: إناء سميت بذلك لقرقرتها. الجحام: داء يأخذ الكلب في رأسه فيكوى منه بين عينيه. العيارة: التي تذهب كأنّها منفلتة من صاحبها تتردد)

(٢٧) يرى غوستاف فون غرنباوم أنّ أبا الشمقمق أول من أدخل إلى الأدب العربي صورة السنّور الذي هجر بيت صاحبه، والفأر الذي يعبث في البيت المقفر: ١٢٦

(٢٨) انظر محمد سعد الشويعر، أبو الشمقمق شاعر الفقر والسخرية: ١٠٩ ، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٢٩) انظر قصيدة الحكم بن عبدل، وهي تتضمن صورا مشابهة للصور التي قدمها أبو الشمقمق، ويرى بعض النقاد أنّ الحكم بن عبدل أول من ابتدع الصور الحوارية مع الحيوانات البيتية، واقتفاه من جاء بعده من الشعراء، ومما يقول في قصيدته:

فَـــرَّ مِنْـــه مُولِّيـــاً فَـــأْرُ بَيْتِـــي ... وَلَقَـــدْ كَـــانَ سَـــاكِناً مَـــا يُـــرِيمْ

قُلْـــتُ: هَـــذَا صَـــوْمُ النَّصَـــارَى فَحَلُّـــوا ... لاَ تُلِيحُـــوا شُـــيوخَكُم فِـــي السُّـــمُومْ

ضَحِكَ الفَأْرُ ثُمَّ قُلْنَ جَمِيعَاً     أَهُوَ الحَقُّ كُلَّ يَوْمٍ تَصُومْ
قُلْتُ: إِنَّ البَرَاءَ قَدْ قَامَ فِي النَّـ     ـاسِ بِإِذْنٍ وَأَنْتَ فِينَا ذَمِيمْ
حَمَلُوا زَادَهُم عَلَى خُنْفُسَاتٍ     وَقُرَادٍ مُخَيَّسٍ مَزْمُومْ

(انظر القصيدة كاملة: شعراء عبّاسيّون منسيّون: ٤/ ٩١-٩٢)

(٣٠) شعراء عبّاسيّون منسيّون: ٨٣/٤

**(٣١)** شعراء عبّاسيّون منسيّون: ٧٧/٤-٧٨

**(٣٢)** الوحش: حيوان البر. الشكاعى: نبت يداوى به. حرج: ضيق. اللهيم: المنيّة، الحمّى. اجرنثموا: اجتمعوا. زغب: أول ما يبدو من شعر الصبي. استك سمعهم: ضعف. جناب أرض: فناء. مجدب: مقفر. أوجى الرجل: جاء لحاجة أو صيد فأوجى أي أخطأ. سغب ومسغبة: جوع مع تعب.

(٣٣) ديوان أبي الشمقمق: ٤٦-٤٨ (السلح: اسم لذي البطن. الجردق: الرغيف وهي لفظة فارسيّة معرّبة. النير: القصب والخيوط إذا اجتمعت. الشهب: لون بياض يصدعه سواد في خلاله. ممكورة: المدمجة الخلق المستديرة الساقين. المير: الطعام. العَير: الحمار والأنثى: عَيْرة)

• نعف عن ذكر الكلمة.

(٣٤) الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول: ١١٤

(٣٥) ديوان أبي الشمقمق: ٨٠

(٣٦) ديوان أبي الشمقمق: ٤٦ ( الطرف: الفرس. العير: الحمار)

(٣٧) ديوان أبي الشمقمق: ٣٣ (الفجاج: الطرق الواسعة. الباز: من الطيور الجارحة، وجمعها بزاة)

(٣٨) شعراء عبّاسيّون منسيّون: ٨٠/٤

(٣٩) ديوان أبي الشمقمق: ٤٢ (الإفك: الكذب. الندى: الكرم)

(٤٠) شعراء عبّاسيّون منسيّون: ٣٥٠/٤ ، وانظر الورقة: ١٢٤

٤١ شعراء عبّاسيّون منسيّون: ٨٤/٤

(٤٢) ديوان أبي الشمقمق: ٥١

(٤٣) ديوان أبي الشمقمق: ٣٩ (مالك بن علي الخزاعي: كان واليا على البصرة في أيام الرشيد. وسعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي: كان واليا على الموصل وغيرها. ويبدو أن مالكا كان يكرم أبا الشمقمق أكثر ممّا كان يعطيه سعيد بن سلم)

(٤٤) شعراء عبّاسيّون منسيّون: ٨٢/٤

(٤٥) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة: ٣٠٩
(٤٦) شعراء عبّاسيّون منسيّون: ٣٥١/٤ ، وانظر الورقة: ١٢٤
(٤٧) ديوان أبي الشمقمق: ٤٥ ( كان قد مدح محمد بن منصور من قبل، ولّما أمسك عن عطائه له عاد ليهجوه)
(محمد بن منصور: تولّى عملا خاصا في عهد الرشيد، وكان بارزا في ولاية المأمون)
أعفاج: المعي، يكسكس الروث: يقصد أنه يفتش في الروث عن الحب.
(٤٨) ديوان أبي الشمقمق: ٨٨
**(٤٩)** ديوان أبي الشمقمق: ٥٤-٥٥ ( ينغص الرأس: يحركه إلى فوق وإلى أسفل. ويك: كلمة مثل ويح.)
(٥٠) ديوان أبي الشمقمق: ٤٣
**(٥١)** ديوان أبي الشمقمق: ٢٨
**(٥٢)** شعراء عبّاسيّون منسيّون: ٨٢/٤
(٥٣) شعراء عبّاسيّون منسيّون: ٨٠/٤
(٥٤) شعراء عبّاسيّون منسيّون: ٨١/٤ ( أورد إبراهيم النجار غير رواية لهذه الأبيات: وقد تمثّلنا برواية ابن الجراح في كتابه الورقة.
**(٥٥)** ديوان أبي الشمقمق: ٤٢ (الإفك: الكذب. الندى: الكرم)
(٥٦) ديوان أبي الشمقمق: ٢٩

## قائمة المصادر والمراجع


- إبراهيم النجار: شعراء عباسيّون منسيّون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ): الكامل في التاريخ، طبعة دار صادر، بيروت، ب ط، ب ت
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (٣٥٦هـ): الأغاني، شرحه وكتب هوامشه سمير جابر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م
- ابن الجراح، أبو عبدالله محمد بن داود (ت ٢٩٦هـ): الورقة، تحقيق د.عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فرّاج، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ب ت
- حسن إبراهيم حسن (دكتور): تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

- حسن إسماعيل عبد الغني (دكتور): ظاهرة الكُدْيَة في الأدب العربي نشأتها وخصائصها الفنيّة، مكتبة الزهراء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- حسين عطوان (دكتور):
  - شعراء الدولتين الأمويّة والعباسية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.
  - الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
  - الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- أبو الشمقمق، مروان بن محمد {ت ١٨٠هـ}، ديوانه: واضح محمد الصمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م
- شوقي ضيف (دكتور):
  - العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثامنة عشرة، ب ت.
  - العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة، ب ت.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م
- عبد الحليم حفني (دكتور): شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ب ط، ١٩٨٧م.
- عبد الهدي حرب (دكتور): موسوعة أدب المحتالين، دار التكوين، دمشق- سوريا، ٢٠٠٨م.
- أبو العتاهية، إسماعيل بن قاسم {ت ٢١١هـ}، ديوانه: تحقيق شكري فيصل، أبو العتاهية أشعاره وأخباره، دار الملاّح للطباعة والنشر، دمشق، ب ط، ب ت.
- محمد سعد الشويعر (دكتور): أبو الشمقمق شاعر الفقر والسخرية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م
- محمد مصطفى هدّارة (دكتور): اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ -١٩٨١م
- ابن المعتز، أبو العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل (٢٩٦هـ): طبقات الشعراء المحدثين، تحقق الدكتور عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.